13 me Année No. 631

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

Lundi - 6 - 8 1945

بدل الاشتراك عن سنة

م

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٦٣١ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٨ شعبان سنة ١٣٦٤ — ٦ أغسطس سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

دفـــاع بليـــغ

للأستاذ عباس محمود العقاد

عرف الأستاذ صاحب « الرسالة » ما يعنيه بالبلاغة تعريفاً بليغاً حين قال فى كتابه الجديد الذى جمع مقالاته فى الدفاع عن البلاغة : « إنما هى البلاغة التى لا تفصل بين العقل والذوق ، ولا بين الفكرة والكلمة ، ولا بين الموضوع والشكل ، إذ الكلام كائن حى ، روحه المعنى وجسمه اللفظ ، فإذا فصلت بينهما أصبح الروح نفساً لا يتمثل والجسم جماداً لا يحس »

وليس بهذا التعريف من ضير فى مَعْناه لأنه بليغ ، وليس به من تقصير فى الإفادة لأنه جميل ، وليس به من نقص ، لأنه زاد على الغرض منه أنه أدى هذا الغرض فى نسق سائغ وبيان رائق . فما ذنب البلاغة إذن عند من ينكرونها ، لأنهم كما يزعمون يدينون بمنفعة الكلام ، ولا يدينون بالزخرف المضاف إليه ؟

إن جماعة « النفعيين » فى مذاهب البلاغة العصرية يدعون أن العصر عصر سرعة ، وأن الزمن الذى تمتطى فيه السيارة غير الزمن الذى تمتطى فيه الإبل والخيل ، فمن أجل هذا ينبغى أن يكون له كلام غير كلام الأقدمين ، وبلاغة لا تجرى على أسلوب البلاغة قبل ألف عام

وهذا قول صحيح فى كل شىء إلا فى النتيجة التى يسحبونه إليها سحباً وهو كاره شديد التبرم والالتواء . فإن عصر السيارة الذى يعرفون به لم يعلمنا شيئاً إن لم نتعلم منه أن الفائدة لا تغنى عن الجمال ، لأنه لا يصنع السيارة للسرعة وكفى ، ولا يصنعها للراحة دون غيرها ، ولا يصنعها للمتانة ثم لا يبالى بما عداها ، بل يصنعها أول ما يصنعها لجمال المنظر وأناقة الصورة والافتنان فى النموذج ولطف الحركة والأداة . وما من معمل فى الأرض يزاحم غيره فى سوق السيارات إلا جعل الزينة مقدمة على الغرض المفيد كما يسمونه ، وهو غرض السرعة فى الانتقال أو الراحة التى يستمتع بها المنتقلون . ولا تنزل المصانع إلى التزام المنفعة دون غيرها إلا فى أحط السيارات وأقربها إلى الابتذال ، وهى السيارات التى يعدونها لنقل الحجارة والتراب ، أو نقل البضاعة على أحسن احتمال ، وإنها مع ذلك لتنتقل إلى الحوذى الأنيق فيزينها ببعض الأصباغ والتعليقات ، ويدل بذلك على ذوق فى الحياة أرفع من ذوق البلاغة العصرية والبلغاء العصريين

فالسيارة ، أو عصر السيارة ، يعلمنا أن الفائدة ليست هى كل ما نتوخاه من الكلام ، وأنه إذا وجب على الإنسان وهو ينتقل من مكان إلى مكان فى عصر السرعة أن يزيد شيئاً على فائدة المركبة المقصودة ، فأحرى به أن يصنع ذلك وهو يمثل ذوقه وفكره وشعوره وجملة قدرته على التعبير ، لأنه قد ينتقل فى سيارة شائهة المنظر ، وهو مضطر إلى ركوبها كما قيل إن المضطر يركب

الصعب من الأمور ، ولكنه لا يضطر يوماً من الأيام إلى إهمال مزاياه التي يتفاضل بها المعبرون في الإبانة والجلاء والتأثير

ولقد تحدث أولئك البلغاء المصريون عن بلاغتهم العصرية ، فإذا بهم كالذي يتحدث عن السيارة فيعيب على الناس أن ينتقلوا في مركبة غير مركبة الحجر أو مركبة التراب ، لأن الغرض المفيد من صنع المركبات هو الانتقال السريع ، فما لهم إذن لا يجتزئون عن النماذج الفاخرة بهذه النماذج المبذولة ، وهي أقل في الثمن وأيسر في التكاليف ؟

لو كان هذا الكلام معقولاً لكان تصرف الإنسان كله في تاريخه القديم وتاريخه الحديث غير معقول ، لأنه لا يكتفي بالفائدة في مطلب من المطالب ولا في عمل من الأعمال ، ولا يزال ينسى الفائدة في سبيل الجمال

وأغلب الظن أن تعريفات هؤلاء البلغاء المصريين للبلاغة لا تنتهي في حقيقتها إلا إلى تعريف واحد يصدق عليهم وعلى ما يلفقون من ذلك اللغط الرخيص ، وهو أن البلاغة هي ما يستطيعونه ولا يعجزون عنه ، فما استطاعوه من كلام ، فهو بليغ مقبول ، وما عجزوا عنه فهو من البلاغة السلفية ولو دارت ألفاظه وعباراته على أحدث الآراء

وستمضي العصور وراء العصور ، وتنتقل الكتابة من أسلوب إلى أسلوب ، ومن موضوع إلى موضوع ، ولكن العصور كلها عصر واحد في هذه الحقائق التي لا تقبل الشك ولا تأذن بالتبديل

وهي « أولا » أن الكلام الجميل مطلوب كما يطلب الجمال في كل غرض من أغراض الإنسان

وهي « ثانياً » أن البشر لن يستغنوا في زمن من الأزمان عن لغتين إحداهما تحتاج إلى درس وتعليم ، والأخرى تكتسب بالتلقين من الأفواه ، وإحداهما تصلح للتعبير عن معاني العلوم ولطائف الذهن وبدائع الخيال ، والأخرى لا تصلح لغير البيت والسوق

وهي « ثالثاً » أن التراث الأدبي تراث باق يتجاوز عمر الجيل والجيلين والثلاثة الأجيال ، وما كان كذلك لا يكتب باللهجة التي تتبدل كل جيل وتختلف من بلد إلى بلد ، وتستخدم بغير قاعدة ولا أصل تتفق عليه

ومتى كانت هذه الحقائق من وراء الشك والجدل ، فالدنيا لن تخلو من لغة خاصة ولغة عامة ، أو من لغة المفكرين وأصحاب القرائح والأذواق ، ولغة الجهلاء الذين لا يخلقون الصور الذهنية ولا يحسنون فهمها إذا خلقها لهم الآخرون

وإنه لأرحم بالناس وأكرم لهم أن يتعلم العامة كيف يفهمون الخاصة من أن يحرم على الخاصة أن يكتبوا شيئاً يعلو على مدارك العامة . إذ الواقع أننا لو استطعنا أن نكتب العلم والفلسفة بلغة السوق والبيت لم نرفع الصعوبة التي تحول بين الجهلاء وبين فهم تلك الموضوعات كائناً ما كان أسلوب الكتابة فيها

وأعجب العجب أن يقال أن الإنسان يتعلم ليحسن الطبخ واللبس والركوب ، ولا يتعلم ليحسن فهم جلائل الأفكار ومحاسن القرائح وروائع الفنون ، بل يخلق مستعداً لفهمها بما تلقاه من لهجات البيوت والأسواق

ويخطئ من يعتقد أن العامة من الأعراب كانت تفهم أقوال البلغاء ولا تتكلف دراسة لفهمها والنفاذ إلى معانيها ؛ فإن الذين فهموا تلك الأقوال البليغة كانوا أناساً يتعلمون ويحفظون الأمثال ويروون السير والأخبار ، ويعرفون الأنواء والنجوم ، ولا فرق بينهم وبين متعلمي العصور الحديثة ، إلا أن هؤلاء يتلقون دروسهم مكتوبة ، وكان أولئك يتلقونها منطوقة لا تثبت في كتاب . أما الذين لم يتعلموا على هذا النمط ، فقد كان يفوتهم فهم الشعر السهل فضلا عن الشعر البليغ ، ومن أمثلة ذلك تلك الأعرابية التي لامت زوجها على مدح الناس والترفع عن مدحها والتشبيب بها فقال :

تمت عبيدة إلا من محاسنها ... فالحسن منها بحيث الشمس والقمر

قل للذي عابها من عائب حنق ... أقصر فرأس الذي قد عبت والحجر

ففرحت بهذا الهجاء وحسبته من أجل المدح والتشبيب ، وهكذا يفهم مثلها من تسمعه أبياتاً من الزجل السهل ، وهو عي الفهم رديء المزاج ، فإن العامية لا تنفعه في فهم ما ينظم بها من زجل ، ولو كان قريباً إلى الأذهان

* * *

ولقد أصاب الأستاذ الزيات كل الإصابة حين أبطل قول المتحدثين عن البلاغة العصرية إنهم يدعون إلى مذهب جديد؛ فقال: « ربما يزعم زاعم أن هذه العامية الأدبية ترجع إلى مذهب من مذاهب الكتابة دعت إليه حال وبعث عليه تطور. فإذا جاز أن يكون هذا الزاعم، فالغالب فى الظن أنه لا يعلم إذا كان يجدّ، أو لا يجد إذا كان يعلم. ذلك لأن المذهب الكتابى والشعرى، إما أن يكون مرحلة تطور لمذهب يتقدم به مبتدعوه، وإما أن يكون رد فعل لمذهب يغلو فيه متبعوه ... »

وليس فى دعوة البلغاء العصريين إلى اللغة العامية أو إلى ما يسمونه بالأسلوب التلغرافى فكرة تسمى مذهباً أو تطوراً لمذهب، بل ربما كان التطور الذى حدث فى العصور الأخيرة من أسباب سقوط الدعوة والعدول عنها إن كانت قائمة قبل ذلك، لأن العامة يتعلمون فى العصور الأخيرة بعد أن كان التعليم فى العصور الغابرة وقفاً على السراة وذوى الأموال، فلا حاجة إلى الإسفاف باللغة من أجل العامة كما يزعمون، لأنهم فى طريق المعرفة إن لم تتم لهم المعرفة جميعاً فى هذه الآونة، وأياً كان الزمن الذى ينقضى قبل شيوع المعارف الأدبية بين سواد الناس، فما نعلم من أحد من أولئك القائمين القاعدين باسم أولئك السواد يمشى حافياً اليوم، لأن فقراء العامة يمشون حفاة، وينقضى زمن قبل أن يتوافر لهم جميعاً لبس الحذاء!

فالتطور الذى أشار إليه الأستاذ الزيات يرتد على البلغاء العصريين، ولن يزال مرتداً عليهم فيما يلى من السنين، وكلما ازداد نصيب العامة من العلم والدراسة قلت اللغة العامية وقل البلغاء العصريون وازدادت البلاغة التى دافع عنها صديقنا صاحب الرسالة فأحسن الدفاع

لقد كان دفاعاً جميلا، فلم يضره الجمال ولم يصبه من ناحية الإفادة والإقناع. وقد دافع أناس عن بلاغتهم العصرية، فإذا هو دفاع غير جميل وغير مفيد، وإذا بهم يتكلمون باسم العصر وهم لا يفهمونه ولا يفهمون عصراً من العصور التى سبقته، لأن العصر الحاضر لم تعجله السرعة عن طلب الجمال، بل هو يسرع ويغلو فى سرعة ليدرك الجميل ولو تيسر له المفيد

عباس محمود العقاد

عم يتساءلون ؟

للأستاذ أحمد رمزى

مشاكل العالم الجديد — حواجز اللون

فى برقية من لندرة خبر سار يتلخص فى أن بعض الجمعيات وجهت نداء قوياً يدعو لإزالة حواجز اللون فى المستعمرات، وفى ذلك بشرى للأمم المهيضة الجانب، المغلوبة على أمرها

وإنا معاشر المصريين، كأمة عربية، مهما قيل فى أنسابها وأحسابها — نفرح ونتهلل لهذا النبأ إن صدق ما يدعون — نفرح لأننا من أنصار الحرية، ومن عشاق المساواة بين الأجناس، ونتهلل لأننا من دعاة الحق، ومن العاملين على نصرة الأمم المضطهدة، ورفع الحيف والظلم عنها

فنحن نعضد هذه الحركة، ونعدها من بشائر الدنيا القادمة، ونرى فى نجاحها دعامة من دعائم إنشاء العالم الجديد، وندعو لها بالنجاح، ونصادق كل من يقول بها، ويكافح من أجلها، ويدعو بقلمه ولسانه إليها

لقد قرأنا الكثير مما كتب عن الشعوب الملونة، وضرورة إخضاعها لسلطان الأمم المتمدينة، وخلصنا بنتيجة هى أن تقسيم العالم وشعوبه إلى أبيض وأسود وأسمر، وإقامة الحواجز بينها، وحرمان الإنسانية من مجهود بعض الشعوب، إنما هو من عمل الإنسان وحده، ولا شأن للقوانين الطبيعية فيه

وإن النظريات التى تدعو إلى وضع فريق من البشر، فى وضع لا يليق بالإنسان، مقضى عليها بالفشل، لأنها من بقايا عصور قد انتهت ...

ولا محل لها فى العالم الجديد، الذى قيل عنه لنا، إنه يسير نحو الديمقراطية والتفاهم والتعاون، وإن الإنسانية تتقدم فيه نحو التساوى فى إعطاء الفرص، للفرد وللجماعة بل وللشعوب، بدون نظر إلى جنس أو لون أو دين — فلا فضل لمسيحى على مسلم، ولا مزية لأوروبى على أسود

فهل سيقدر النجاح لهذه الدعوة الصالحة ؟

هذا ما ستظهره الأيام فى المستقبل ، وإن شك الكثيرون فى ذلك ، وجاهروا بأن ظروف العالم وما يحيط بنا من دلائل ، تجعل الشك أقوى من الأمل ، ولكن المؤمنين بالمساواة يقولون بأن الظروف السائدة ليست بدائمة ولا هى أبدية ، بل كل ما عليها يتحرك ويتطور : حتى إذا سلَّمنا بضعف أنصار الفكرة وقلتهم ، وإذا تطرق الشك إلى قلوبنا وقلنا إن الملأ قد يجاهرون ويتظاهرون بما ليس فى قلوبهم ؛ فإن الفكرة فى حد ذاتها سامية ، ولها من حيويتها ومنطقها وقوة تأثيرها ما يجعلها من ألزم ضرورات هذا العصر ، بل تحمل وحدها ما يهيئ لها النجاح ...

ولقد دعا الإسلام إليها ، وكانت إحدى دعائم القوى التى قام عليها ، حينما كانت المثل العليا للاسلام ظاهرة واضحة ملموسة ، لا يطمسها جمود رجال الدين وتشاغلهم بأمور الدنيا .

ولقد عجبت كيف يمر هذا الخبر على المسلمين فلا يتحرك منهم عالم أو كاتب أو مجاهد ، فيقول فيه قولا يتفق مع تقاليد السلف الصالح وحميتهم — ومصر التى ورثت الشافعى وحملت أرضها طائفة من علماء الدين ، كانت عزائمهم تهز الدنيا ؟ لِمَ لا تتكلم بما أنزل الله ؟

أما نحن ، فواجبنا فرض كفاية علينا أن نعطى فكرة سهلة ، تثير فى النفس رغبة الاستزادة فى المعرفة والسعى وراء الحقيقة ، وغايتنا أن نضع التناقضات ملموسة أمام نظر القارئ الواعى ، ولذلك نتساءل :

هل صحيح أن بعض الحكومات تفرض على ذوى اللون قيوداً لا يحتملها الأوروبى ، فتضع فريقاً من بنى آدم فى موضع المنبوذين ؟

أحق ما يقال من أن فى القارة الأفريقية ملايين من الناس محرومون من حق الملكية الفردى والإجماعى فى أراضى بلادهم ، وبعد مضى قرن ونصف على إعلان حقوق الإنسان ؟

أصحيح أن حريات السكان الوطنيين ومساكنهم ومعابدهم لا يحميها القانون العام فى بعض المستعمرات ، فيحرمهم الحماية التى يتمتع بها بقية السكان ؟

إذا كان هذا من المبالغة فى القول كما يدعون ، فهل الحرية الشخصية وما يتبعها من حرية التملك والعبادة والتعليم والثقافة وتعاطى المهن وحق الانتقال ، أمور معترف بها للجميع فى القوانين المعمول بها للبيض والسود والسمر على السواء ؟ أم هناك تفاوت فى المعاملة ؟

هذه أسئلة عارضة يزيد من أهميتها ما أذيع أخيراً من أن فى القارة الأفريقية مساحات شاسعة من الأراضى ، منها ما هو خاضع للدول الأنجلوسكسونية ، وما هو مملوك لدول أخرى ، وأن المعاملة السيئة التى يلقاها سكان المستعمرات الأفريقية ، أو التى تحت الانتداب لدى هذه الدول الأخرى ، أثارت اشمئزاز رجال الاستعمار الأنجلوسكسونى وسخطهم ، فهل هذا صحيح ؟

إننا نتساءل عن هذا ، وبقدر ما تزداد رغبتنا فى التأكد ، بقدر ما تتكشف لنا بعض الحقائق الكونية ، وإلا فما هى هذه الحواجز التى تتحدث عن إزالتها تلك الجمعيات المحبة للخير والإنسانية ؟

أيتها الشعوب الغالبة التى سكرت بخمر انتصاراتها : اعلمى أن السلم العالمى لن يتحقق لغير العدالة ، ولا عدالة مع بقاء حواجز اللون ، وإلا فقد ذهبت سدى أرواح ثلاثين مليوناً من ضحايا الحرب العالمية الثانية ، أو كجزية أولى للحرب العالمية الثالثة !

احمد رمزى

المراجع Stoddovd

1 — The Revolt againsr Civilisation
The Menace of the Undesman.
2 — The Rising Tide of Colour against white World - Supremacy.
3 — Le Crepuseie dés hateins Blauehes Hawice Hweh.

الاستعمار الفرنسي في الجزائر

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

الأمة الفرنسية — منذ ثورتها الكبرى قبيل نهاية القرن الثامن عشر — تدعى أنها الحفيظة على الحرية البشرية ، وواضعة الحقوق الإنسانية ؛ بذلت فى سبيلها أغلى المهج والأرواح وسطرتها بدماء أبنائها الأحرار ، وأعلنتها ديناً ومذهباً فى فرنسا ، وبشرت بها فى سائر الأمم الغربية وغيرها ، وزعمت أن غراس الحرية نبت فى بلادها ، ثم زكا وترعرع ، حتى استوى شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، تؤتى أكلها كل حين ، فيقطف منها الناس جميعاً دانى الثمر وطيب الجنى

ولقد غلت فى حبها وأفرطت فى تقديسها ، حتى اتخذها مفكروها محوراً لتفكيرهم ومصدراً لوحيهم وإلهامهم ، وتغنى الخطباء والكتاب والشعراء بالحرية والإخاء والمساواة شعار الثورة ودثارها ، ودين فرنسا الجديد وإنجيلها ! !

فهل كان ذلك حقاً ؟ هل كان ذلك ناجماً عن خليقة مستعدة للخير وطلب الكمال ، أو نحيزة تحفز لرعاية الفضائل ، أو قلب مؤمن بأسمى المبادئ ، أو عقيدة دفعت المصلحين إلى نقض بناء الظلم وتقويض دعائم الجور والثورة على القاسطين ، وتطهير الأرض من الظالمين ؟ ؟

نقول — والأسف يملأ جوانحنا — إن موقدى الثورة وحاملى بنودها والداعين إلى مبادئها ، لم يكونوا مؤمنين بها ، فلم تخالط بشاشتها قلوبهم ، ولم تمتزج بها نفوسهم ، إنما هى شقشقة هدرت ثم قرت ، وصيحة دوت فى الجو برهة ثم لم تنشب أن ذهبت أدراج الرياح ، ولم يلبث كبراء فرنسا وحكامها أن عادوا إلى سابق عهدهم ، وثابوا إلى ما كانوا عليه من استبداد ظالم ، وغشمرية يختفى فيها الحق ويضيع فيها الضعفاء ، ورجع الأقوياء فيها أشد صيالا ، وأقوى طماحاً . وإلا فما بال الفرنسيين رضوا بنقض عهد الثورة وميثاقها فى أنفسهم ، وفى أبناء البلاد التى وقعت فى حبائلهم ، فأذاقوهم عذاب الهون ، وصبوا عليهم صواعق غضبهم وهم ما اجترحوا سيئة ، ولا ارتكبوا أمراً إدّا

ومَن هم أولئك الذين يُسامون هذا الخسف ويعانون هذا الظلم من مصادرة للحرية ، وإنكار للحقوق الشرعية ، وهدم لاستقلال البلاد ، وإضاعة لمعالم العدل والمساواة ؟

هم عرب المغرب ومسلموها فى الجزائر وغيرها . هم أنسال أولئك الأمجاد الذين وطئوا بهذه البلاد وبالأندلس منذ آماد طويلة ، فنشروا فيها مبادئ العدل والحرية ، والمساواة والتسامح ، وحملوا لواء العلم والعرفان ، وأرسخوا فيها دعائم المدنية وأركان الحضارة

هم سلالة أولئك الهداة والرائدين من عرب المغرب والأندلس الذين علّموا أبناء فرنسا وغيرهم من أمم أوروبا ، وأيقظوهم من سباتهم العميق ، وأخرجوهم من ظلمات الجهل والجور إلى نور العلم وضياء الحرية يوم أن كانوا يهيمون على وجوههم يتخبطون فى دياجير الجهل ، ويرزحون تحت آصار الجنف والاستبداد

لقد شهد المنصفون من علماء أوروبا ومؤرخيها بعدل العرب وإحسانهم ، ورحمتهم وتسامحهم ، حتى قال جوستاف لوبون : «ما رأيت فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب» ، كما اعترفوا بأن نهضة أوروبا إنما نبعت من معين العرب ، وشيدت بطلبة البعوث العلمية الذين ارتووا من مناهل علومهم ومعارفهم فى طليطلة وقرطبة واشبيلية وغرناطة ومراكش وصقلية وغيرها . كذلك اقتبسوا من محاسن عاداتهم وقوانينهم ، وانتفعوا بما شاهدوه من زراعتهم وصناعاتهم ، وتنافسوا فى ذلك تنافساً عجيباً ، حتى انتشرت هذه المعارف والعلوم ، وبزغت شمسها فى أوروبا ، ولا سيما فرنسا وإيطاليا وجرمانيا وانجلترا ، وذلك فى القرون الوسطى ؛ فنقلوا عنهم الفلسفة والهيئة والطبيعيات والبصريات والرياضة والكيمياء والطب والصيدلة والزراعة ، وتعلموا منهم الفروسية ، وأخذوا عنهم عمل الورق والبارود ، ونسج كثير من المنسوجات وكثيراً من الحبوب والأشجار

جاء فى صحيفة مدرسة أدنبره :

« إنا لمدينون للعرب كثيراً ، فإنهم الحلقة التى وصلت مدنية أوروبا قديماً بمدنيتها حديثاً ، وبنجاحهم وسمو همتهم تحرك أهل أوروبا إلى إحراز المعارف ، واستفاقوا من نومهم العميق فى الأعصار المظلمة ، ونحن مدينون لهم بترقية العلوم الطبيعية والفنون النافعة

في إرشــــاد الأريب

إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١١ —

* ج ١٨ ص ١٦٨ :

لو سمت بقعة لإعظام أخرى … لسمى نحوها المكان الجديب

قلت : (لو سمت بقعة لإعظام نُعمى) والبيت لأبي تمام من قصيدة في محمد بن عبد الملك الزيات ، وقبله :

ديمة سمحة القيــاد سكوب … مستغيث بها الثرى المكروب

وبعد ذلك البيت :

لذ شؤبوبها وطاب فلو تستطيع (م) قامت فعانقتها القــــلوب

* ج ١٩ ص ٢٠٨ : قال المؤيد الألوسي في صفة القلم :

ومثقف يغنى ويفنى دائماً … في طورَي الميعاد والإيعاد

قلم يفل الجيش وهو عرمرم … والبيضَ ماسُلّت من الأغماد

وُهِبَتْ به الآجام حين نشابها … كرم السيول وهيبة الآساد

قلتُ : (والبيضُ) وهذا ظاهر .

(وهَبَت له الآجام حين نشابها) وقد جاء (الألوسي) بفتح الهمزة في الكتاب ، وهو بضمها كما ورد في (وفيات الأعيان) . قال ابن خلكان : هذه النسبة إلى ألوس ، وهي ناحية عند حديثة عانة على الفرات . وفي (معجم البلدان) : (ومهفهف[1]) مكان (ومثقف) وفيه وفي (الوفيات) : (يغنى ويقنى) ويقنى مثل يغنى ، وعندي أن الأصل (يقنى ويفنى) قال ابن خلكان : ولقد رأيت هذه الأبيات منسوبة إلى غيره (إلى غير المؤيد) ولم يقل في القلم أحسن من هذا المعنى

ولبعضهم في القلم أيضاً وهو من هذا المعنى :

وأرقش مرهوب الشباة مهفهف … يشتت شمل الخطب وهو جميع

تدين له الآفاق شرقاً ومغرباً … وتعنو له ملاكها وتطيع

حمى الملك مفطوماً كما كان تحتمي … به الأسد في الآجام وهو رضيع

(١) في الشرح في الكتاب (إرشاد الأريب) ذكرت هذه الرواية .

وكثير من المصنوعات التي نفعت أوروبا كثيراً علماً وتمديناً »

وقال المؤرخ الفرنسي لافاليه في وصف مدنية العرب والمسلمين:

« إنهم في جميع الفنون فاقوا المسيحيين ، وبلغوا الدرجة القصوى في الحضارة ، حينما كان أقرانهم من الأوروبيين هائمين في أودية الجهالة والوحشية ، فكانوا فوقهم في العلم ومثلهم في البأس ، وكانوا حكماء في المجالس أشداء في المآزق »

فكيف يجوز لفرنسا أن تعامل في القرن العشرين أمة ماضيها المجيد حافل بالمكرمات والمآثر معاملة العبيد الأرقاء ، وقد كان أسلافها بالأمس معلميها ومعلمي سائر الأمم ، كما كانوا ناشري لواء الحرية والعلم في أوروبا وسائر أنحاء الدنيا ؟ وكيف سمح لها ضميرها الحي ووجدانها اليقظ أن تنكل بالجزائر في شهر مايو الماضي فتضرب أبناءها ومدنها وقراها بمدافع الطائرات ، وتصب غليها من سفنها الحربية وابلا من النيران وحمما من سعير الجحيم ، وتسوق الأحرار من بنيها إلى المحاكم فتحكم عليهم بالفناء والموت الزؤام!

ما ذا صنع أولئك المساكين ؟ وما ذا نقم منهم الفرنسيون ؟ لم ينقموا منهم إلا أنهم آمنوا بحقوقهم وشعروا بالظلم الفادح ينقض ظهورهم ويثقل كواهلهم ، فرغبوا في حريتهم وفي حياة الكرامة والاستقلال ، وأبوا حياة الضيم والهوان ...

يا فرنسا : خفضي من غلوائك ، واذكري ما كنت فيه بالأمس القريب يوم الاحتلال الألماني ، واعلمي أن في بلاد المغرب بسلاء لا ينامون على ضيم ، قد انحدروا من سلالة شرف ومجادة ، وجرت في عروقهم دماء سُلاّفهم الأولين الذين جاهدوا في سبيل إعلاء كلمة الحق وتوفير العزة للمؤمنين

يستعذبون مناياهم كأنهمُ … لا ييأسون من الدنيا إذا قتلوا

لا جرم أنه من الخير لفرنسا أن تنظر في سياستها الاستعمارية القديمة فتتنكب سبيلها ، وترد إلى تلك الشعوب حقوقها ، فبذلك وحده تبقى السلم ، ويعم العالم الأمن ، وإلا فبواعث الحرب قائمة ، ونذرها ماثلة ، ولن تكف الشعوب المهتضمة عن المطالبة بحقوقها ، ولن تني في الجهاد والاستشهاد في سبيل حريتها

إذا غامرت في شرف مروم … فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم المــوت في شيء حقير … كطعم الموت في شيء عظيم

حسن أحمد الخطيب
المفتش العام بوزارة المعارف

قلت : فى (حياة الحيوان الكبرى) للدميرى : (مرهوف الشباة[1]) وهى أصح ، وكانت (ملاكها) فى طبعة (الوفيات) (أفلاكها) .

* ج ١٠ ص ٧٧ :

عناءٌ مُعنٍّ وهو عندىَ راحة   وسم زعاف ، طعمه فى فمى حلو

قلت : (مُعَنٍّ) وهو من (عنّى يعنّى) فى القاموس فى (عنى) : وعناء عانٍ ومُعَنٍّ مبالغة . وفى اللسان : وعناء عانٍ ومعنٍ كما يقال : شعر شاعر وموت مائت ، قال الأعشى :

لعمرك ما طول هذا الزمنْ   على المرء إلا عناءٌ مُعنْ

والبيت الواوى هو لصاحب اللامية التى يقول فيها :

وإنما رجل الدنيا وواحدها   من لا يعول فى الدنيا على رجل

* ج ٤ ص ٥٤ : وله (لأحمد بن على الأسوانى) تآليف ونظم ونثر التحق فيها بالأوائل . قُتل ظلماً وعدواناً فى محرم سنة اثنتين وستين وخمسمائة : وله تصانيف معروفة لغير أهل مصر ، منها كتاب مُنْيَةِ الألمعى وبُلْغَةِ المدعى : تشتمل على علوم كثيرة .

قلت : فى الصحاح : والمحرم أول الشهور . وفى المصباح : أدخلوا عليه الألف واللام لمحاً للصفة فى الأصل ، ولا يجوز دخولها على غيره من الشهور عند قوم وعند قوم يجوز على صفر وشوال . وفى شفاء الغليل : محرم بدون الألف واللام نصوا على أنه ممنوع لأنه علم بالغلبة فتلزمه اللام أو الإضافة واستعمله ابن الزوى مضافاً فى قوله (محرم الحول فى تقدمه) .

وكتاب الأسوانى اسمه (أُمنيّة الألمعى ومَنيَّة المدعى) وهو مقامة طويلة وصف فيها منشيها عشرين علماً وشرحها[2] . وقد « اختصر هذا الشرح من الأصل مع زيادات فى بعض المواضع » العلامة الكبير المصلح الأستاذ الشيخ طاهر الجزائرى .

* ج ١٧ ص ٩١ : أنشدنا (المحسن بن الحسين العبسى الوراق) لنفسه فيه (فى مبارك الكاتب) :

مباركُ بورك فى الطول لك   فأصبحت أطول من فى الفلك

ولولا انحناؤك نلت السما   ء ولكن ربك ما عدّلك

قلت : مبارك — بضمة واحدة وهو منادى — وللوزن ، والهمزة فى أول العجز فى البيت الثانى ، مكانها فى الصدر فى السماء .

* ج ١٨ ص ١٣١ : كان ابن دريد قد أملى الجمهرة فى فارسَ ثم أملاها بالبصرة وببغداد من حفظه ... فلذلك قلما تتفق النسخ ، وتراها كثيرة الزيادة والنقصان ، ولَمّا أمَلّه بفارس غُلامُه تَعَلَّمَ من أول الكتاب ، والنسخة التى عليها المعول هى الأخيرة .

قلت : ولما أمله[1] بفارس عَلامةٌ تُعَلِّمُ من أول الكتاب .

* ج ١٦ ص ١٨٤ : وللفتح بن خاقان (وزير المتوكل العباسى) :

أيها العاشق المعذب صبراً   فخطايا أخى الهوى مغفوره

زفرة فى الهوى أحط لذنب   من غزاة وحَجّة مبروره

قلت : حجة بالكسر فى الفصيح والصحاح واللسان والقاموس . وفى اللسان : روى عن الأثرم وغيره : ما سمعنا من العرب حج حَجة . وروى عن الكسائى مثل ذلك . وفى النهاية : الحجة بالفتح المرة الواحدة على القياس . وقال الجوهرى الحجة بالكسر وهو من الشواذ . وفى التاج : فتبين أن الفعلة تقال بالوجهين الكسر على الشذوذ . وقال القاضى عياض لا نظير له فى كلامهم ، والفتح على القياس .

قلت : الكسر خير . وقد قال الأثرم والكسائى ما قالاه . ثم استغفر الله من رواية البيتين .

* ج ٤ ص ٢٣١ : تقدم رجلان إلى القاضى أبى أحمد بن أبى علان — رحمه الله — فادعى أحدهما على الآخر شيئاً فقال المدعَى عليه : ما لَه عندى حق . فقال القاضى من هذا ؟ فقالوا : ابن هارون النحوى العسكرى . فقال القاضى : فأعطه ما أقررت له به ...

قلت : (ما لُه عندى حق) بضم اللام ، وقد قالها عامية ، فورّط المسكين نفسه فى بلية . وما كان له — وهو العالم اللغوى النحوى — أن ينطق بغير صحيح . وإنى لأتيقن أنه راح يردد

(١) رهف السيف كمنع يرهف رهفاً رققه كأرهفه فهو مرهوف ومرهف (التاج) .

(٢) الكتاب مخطوط فى (المكتبة الخالدية) فى بيت المقدس كتبت سنة ٨٩٤ وطبع مع شرحه المختصر و « تتمة تكمل بها أمنية الألمعى وتشتمل على مسائل » سنة ١٣٢٠

(١) قال الفراء : أمللت لغة أهل الحجاز وبنى أسد ، وأمليت لغة بنى تميم وقيس ، ونزل القرآن العزيز باللغتين معاً .

— وهو يحمل تسجيل القاضي — هذا المثل : « إن البلاء موكل بالمنطق » ويلعن لغة العامة ودعاتها — إن كان لها فى ذلك الزمان دعاة ... — لعناً كبيراً .

* ج ٤ ص ٦٨ : ولم أزل منذ حرمت التشرف بخدمته أنطوى على مبايعته ، وأتلظى شوقاً إلى التسعد بخدمة حضرته التى هى مجمعُ الوفود ، ومطلعُ الجود ، وعصره المحمود .

وجاء فى الشرح : (المحمود) فى الأصل المنجود ، فأصلحت إلى ما ذكر .

قلت : وعُصرةُ المنجود . فى اللسان : قال أبو زُبيد :

صادياً يستغيث غيرَ مغاث ولقد كان عصرة المنجود

أى كان ملجأ المكروب . وفى الأساس : هو منجود : مكروب . وتقول : عنده نصرة المجهود ، وعصرة المنجود .

و (التسعد) طلب مرعى السعدان . فى اللسان : خرج القوم يتسعدون يطلبون مرعى السعدان ، وهو نبت ذو شوك ، وهو من أطيب مراعى الإبل ما دام رطباً . وفى المثل مرعى ولا كالسعدان .

فهل قاس الكاتب وهو « أحمد بن على الصفار من فضلاء خوارزم » التسعد على التشرف أم كان الأصل (التيمن برؤية حضرته) أو الاستسعاد أو ما شابه ذلك .

* ج ١٧ ص ٢٥١ :

فأبيتُ مُحتَضَر الجوى قلق الحشا
وأظل أعذِر فى هواكَ وأُعذر

وجاء فى الشرح : محتضر أى كالمحتضر القريب من الموت ، وأعذر : أى أقبل عذرى فى هواك ، وأعذر مجهول : يقبل منى العذر .

قلت :

فأبيت محتضِنَ الجوى قلق الحشا
وأظل أُعذَل فى هواك وأعذَر

* ج ٥ ص ١١٤ : قال أبو العباس : هذا خطأ ألبتة .

وجاء فى الشرح : فى الأصل بتة فجعلتها ألبتة .

قلت : بتة صحيحة . فى الصحاح : لا أفعله بتة ولا أفعله ألبتة لكل أمر لا رجعة فيه ، وفى النهاية : يقال : بتة وألبتة . وفى المقامة الرملية :

طيرى متى نفّرت — عن نحلة وطليقها بتـة بتله

وفى إرشاد الأريب (ج ١٤ ص ٢٢٠) ولئن استفتى الفقهاء لم يكن عندهم منه إلا التعجب . واقتصر المصباح على بتة . ونقل اللسان والتاج كلام الصحاح ولم يدفعاه ، وذكرا قول سيبويه : « قعد ألبتة مصدر مؤكد ، ولا يستعمل إلا بالألف واللام[١] » ولم يؤيداه .

* ج ١٧ ص ٢٧٣ : ومن شعر (محمد بن أحمد بن حمزة شرف الكتاب)

أما والعيونُ النجل تُصمى نبالُها
ولمـعُ الثنايا كالبروق تخالها
ومنعطفُ الوادى تأرج نشره
وقد زار فى جُنح الظلام خيالها[٢]
وقد كان فى الهجران ما يَزع الهوى
ولكن شـديد فى الطباع انتقالها

قلت : (أما والعيونِ النجل تصمى نبالها) (ولمعِ الثنايا كالبروق تخالها) (ومنعطفِ الوادى تأرج نشره) (لقد كان فى الهجران ما يزع الهوى) . فالواو واو القسم .

* ج ١٩ ص ١٢٦ : أبو القاسم (محمود بن عزيز العارضى) الخوارزمى الملقب[٣] شمس المشرق كان من أفضل الناس فى عصره فى علم اللغة والأدب لكنه تخطى إلى علم الفلسفة فصار مفتوناً بها ممقوتاً بين المسلمين . وكان سكوتاً سكوناً وقوراً يطالع الفقه ويناظر فى مسائل الخلاف أحياناً . وكان الزمخشرى يدعوه الجاحظ الثانى لكثرة حفظه وفصاحة لفظه . أقام مدة بخوارزم فى خدمة خوارزم شاه مكرماً ، ثم ارتحل إلى مرو فذبح بها نفسه بيده فى أوائل سنة إحدى وعشرين وخمسمائة ، ووجد بخطه رقعة فيها :

---

(١) فى الاقتضاب في شرح أدب الكتاب : عول ابن قتيبة فى هذا الذى قاله على قول الفراء فلذلك قال : بتة بغير ألف ولام ، وكان سيبويه يقول لايجوز إلا البتة ، وذكر الفراء أنهما لغتان ، وقد جاء ذلك فى بعض ما خرجه مسلم فى الصحيح .

(٢) جنح : بالكسر ويضم

(٣) فى كتب اللغة : (لقبه بكذا فتلقب به) وكتاب السير مثل ابن خلكان وياقوت وطائفة من الأدباء يجردون الثانى كثيراً من الباء .

(هذا ما عملته أيدينا فلا يؤاخذ به غيرنا) .

قلت : وكان ساكناً سكوتاً وتوراً ، فى الأساس : فلان ساكن وهادئ ووديع . و (سكون) لم أجدها فى مكان . وليس هناك إلا (السكون) حىّ من العرب كما قال التاج .

ذكرتنى قصة (شمس المشرق) بهذين الخبرين .

جاء فى (المقابسات) لأبى حيان التوحيدى :

شاهدنا فى هذه الأيام شيخاً من أهل العلم ساءت حاله ، وضاق رزقه ... فلما توالى عليه هذا دخل يوماً منزله ، ومد حبلا إلى سقف البيت واختنق به ، وكانت نفسه فى ذلك . فلما عرفنا حاله جزعنا وتوجعنا وتناقلنا حديثه ... فقال بعض الحاضرين : لله دره ! لقد عمل عمل الرجال ! نعم ما أتاه واختاره . هذا يدل على عزازة النفس وكبر الهمة . لقد خلص نفسه من شقاء كان طال به ... مع فاقة شديدة ... ووجه كلما أمه أعرض عنه ، وباب كلما قصده أغلق دونه ، وصديق إذا سأله اعتل عليه . فقيل لهذا العاذر : إن كان قد تخلص من هذا الذى وصفت على أنه لم يوقع نفسه فى شقاء آخر أعظم مما كان فيه وأهول ... فلعمرى نعم ما عمل ! لله أبوه ! ما أحسن ما اهتدى إليه ، وقوى عليه . وينبغى لكل عاقل أن يدفع إلى ما دفع إليه ... وإن كان قد سمع بلسان الشريعة ... النهى عن هذا وأشباهه فقد أتى بما عجل الله به العقوبة والعار ... سبحان الله أما كان يسمع من كل عاقل ... ومن كل من يرجع إلى مسكة ... النهى عن مثله والزجر عن ركوب ما هو دونه بكثير . فكيف لم يتهم نفسه ، ولم يتعقب رأيه ، ولم يشاور نصيحاً له ... لأنه أمر متى تُركب بالظن والتوهم اللذين لم يؤيدا ببصيرة من عقل ولا عرضا على عاقل ، ثم استبان له فى الثانى ... خطأ ما عمل فاته التلافى ولم يمكنه الاستدراك ... وقد قضى العقل قضاء جزماً ، وأوجب النظر إيجاباً حتماً ، أنه يجب ألا يفرق الإنسان بين هذه الأجزاء الملتحمة والأعضاء الملتئمة ، وليس هو رابطها ، ولا هو على الحقيقة مالكها ، بل هو ساكن فى هذا الهيكل لمن أسكنه فيه ، وجعل عليه أجرة السكنى بعمارة المسكن وحفظه وتنقيته وإصلاحه وتصريفه على ما يعينه على طلب السعادة فى العاجل والآجل . وكان سعيه مقصوراً على التزود إلى مبوّأ صدق ، ولا بد له من المصير إليه والمقام فيه ... على خير غامر وراحة متصلة وغبطة دائمة ، حيث لا آفة ولا حاجة ولا أذى ولا حسرة ... فأما إذا كانت الحال على خلاف هذا ، فالشقاء الذى يتردد فيه .. يكون فى وزن ذلك ومقابله .

وجاء فى (يتيمة الدهر) لأبى منصور الثعالبى :

لما عاود أبو أحمد بن أبى بكر الكاتب بخارى من نيسابور ... وقاسى من فقد رياسته وضيق معاشه قذاة عينه وغصة صدره استكثر من إنشاد بيتى منصور الفقيه :

قد قلت إذ مدحوا الحياة فأسرفوا ... فى الموت ألف فضيلة لا تعرف

منها أمان لقائه بلقائه ... وفراق كل معاشر لا ينصف

وقال فى معناهما :

من كان يرجو أن يعيش فإننى ... أصبحت أرجو أن أموت فأعتقا

فى الموت ألف فضيلة لو أنها ... عرفت لكان سبيله أن يعشقا

وواظب على قراءة هذه الآية فى آناء ليله ونهاره : (وإذ قال موسى لقومه : يا قوم ، إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل ، فتوبوا إلى بارئكم ، فاقتلوا أنفسكم) . فقال بعض أصدقائه : إنا لله ! قتل أبو أحمد نفسه . فكان الأمر على ما قال ، فشرب السم فمات[1] !

قلت : مقالة (الإسلامية) فى الانتحار والمنتحرين بليغة . روى محمد بن اسماعيل فى جامعه :

« من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبدا . ومن تحسى سماً فقتل نفسه ، فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً . ومن قتل نفسه بحديدة ، فحديدته فى يده يجأ بها بطنه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبدا[2] »

والقوم فى الغرب فى هذا الأمر مختلفون ، فمنهم من يجبّن المنتحر ويضعفه وينتقص خليقته ويعده مسيئاً إلى المجتمع وإلى

(١) قال الثعالبى فى حقه : كان أبو أحمد ربيب النعمة ، وغذى الدولة ، وسليل الرياسة ، ومن أول من تأدب وتظرف وبرع وشعر بما وراء النهر ، وحذا فى قرض الشعر حذو أهل العراق ، وسار كلامه فى الآفاق..

(٢) كان فى الجاهلية الاعتقاد « وهو أن يغلق الرجل بابه على نفسه فلا يسأل أحداً حتى يموت جوعاً . قال محمد بن أنس : كانوا إذا اشتد بهم الجوع أغلقوا عليهم باباً وجعلوا حظيرة من شجر يدخلون فيها ليموتوا جوعاً ، ولقى رجل جارية تبكى فقال لها : مالك ؟ قالت نريد أن نعتفد » (اللسان).

تطور بلاد العرب الشمالية
وتأثير ذلك فى علاقاتهم الخارجية
للميجر ج . ب . كلوب

ترجمة الأستاذ جميل قبعين

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

الوجهة التاريخية :

عند انتقالنا من بحث النظريات المتعلقة بالوجهة الدينية ومناخ البلاد لبحث الوجهة التاريخية — يحسن بنا أن نبدأ بحثنا منذ حكم الرومان والفرس أى من السنة الأولى للميلاد حتى سنة ٦٥٠ منه . وإن من الخطأ كله الظن بأن العرب قبل الاسلام كانوا قوماً متوحشين . إن موقف العرب فى ذلك الوقت كان صعباً جداً حيال أكبر امبراطوريتين عرفهما ذلك العصر . وموقفهم هذا جد شبيه بموقف جرمانيا فى القرن السابع عشر أو الثامن عشر عند ما كانت بين الامبراطورية الفرنسية والامبراطورية النمساوية . ان اضمحلال هاتين الامبراطوريتين مكن جرمانيا من الاستقلال والوحدة كما أن نفس السبب أى اضمحلال الامبراطوريتين الرومانية والفارسية مكن العرب من تأسيس وحدتهم عند ظهور الاسلام[1] وانى لا أظن بأن أحداً يحلم بأن يقول إن الجرمان لم يتمكنوا من الاستقلال قبل ذلك الوقت لأنهم شعب منحط . ولذلك يجب أن نعترف بأن العوامل الجغرافية قدرة على تأجيل اتحاد واستقلال أمة ما مدة طويلة .

(١) الاسلام هو الذى وحد العرب ومكنهم من اكتساح الامبراطوريتين الرومانية والفارسية . (المترجم)

بظهور الاسلام فى القرن السابع ابتدأ الفتح الاسلامى العربى الذى اجتاح أكثر البلدان المعروفة فى ذلك الزمان بمدة تقل عن مئة سنة . كما أن العرب تمكنوا من فتح بلاد وجد فيها أوربيون مثل شمال أفريقيا حيث سكن الوندال ، وأسبانيا حيث سكن القوط . ان هذه الفتوح التى تعتبر من أعظم الأعمال التى عرفها التاريخ أدت إلى تأسيس امبراطورية دامت ٣٠٠ سنة ؛ وقد حافظت على كيانها بالرغم من انقسامها فيما بعد وبقيت قوية وعمرت أكثر من الامبراطورية البريطانية الحالية .

عند قدوم العثمانيين بعد سنة ١٣٠٠ للميلاد لم يبق للعرب تاريخ[1] ولكن هنا نقطة واحدة يجدر بنا بحثها لتعلقها بسؤالنا حول قابلية العرب للرقى .

إن العرب لم يعيشوا فى خلال السبعمائة سنة الماضية فى جو مثبط للعزيمة أو فى عصر مدنية راقية وقصروا عنها حتى يمكننا القول بأن طينتهم فسدت وفقدوا مزاياهم . ان الاتراك استولوا على الوظائف الرئيسية ابان حكمهم وقطعوا صلات العرب بالعالم الآخر ومع ذلك يصح أن أقول إن العرب الذين نراهم اليوم عاشوا مئات السنين الماضية نفس المعيشة التى عاشها الأشخاص الفاتحون الذين قاموا بتأسيس تلك الامبراطورية الكبرى — طبعاً هم جهلة ومتأخرون لحد ما — ولكن لا يوجد شىء يجعلنا نعتقد بأنهم فقدوا صفات الشجاعة والذكاء التى مكنتهم من القيام بفتوحهم وتأسيس امبراطوريتهم العظيمة .

حيوية العرب العصريين :

دعنا ننتقل الآن برهة وجيزة لبحث حيوية العرب العصريين . وبما أن الوقت لا يتسع لبحث هذه القضية بحثاً واسعاً فسأقصر كلامى على وجهة أو وجهتين بالنسبة للوضع الحاضر .

إنى لم أصادف فى تجاربى وأعمالى ما يحملنى على الاعتقاد بأن العرب غير قادرين على تيسير الأمور من وجهة حكومية أو إدارية

(١) استولى السلطان سليم العثمانى على البلاد العربية سنة ٩٢٢ هـ — ١٥١٦ م بعد أن انتصر على الملك الأشرف قانصوه الغورى فى وقعة مرج وابق قرب مدينة حلب . (المترجم)

نفسه ، ومنهم من يراه مسيئاً إلى المجتمع أو الدولة لا إلى نفسه ، ومنهم من يشجع على الانتحار ، ويرى أن المرء إنما يكون عرضاً ولا يكون قصداً ، فالأمر فى نفسه له .

وروى أرثر شوبنهور فى كتابه (فى الدين) لأحد حكماء الإغريق ستوبى Stobée هذا القول :

على الأخيار أن يعتزلوا الحياة إذا اشتد شقاؤهم ، وعلى الأشرار أن يفارقوها إذا عظمت سعادتهم ...

كالحكام الاعتياديين فى أوربا أو الاضطرابات والقلاقل التى تقوم عادة عند استقلال أى بلد عربى أمر طبيعى كما حدث فى سوريا أو العراق عند انتقال الإدارة من السلطات الأوربية إلى السلطات العربية . وهنا أحب أن أذكر نقطتين : الأولى ان انتقال الإدارة من يد إلى أخرى لابد أن يوجد فترة عدم استقرار ؛ فعند ما تسلم البريطانيون والفرنسيون إدارة هذه البلاد من الأتراك حدثت اضطرابات أعظم من هذه ودامت سنين عديدة ؛ ولكن الآن وبعد مضى هذه المدة الطويلة على حكمهم يمكنك أن تجد إدارة منظمة كالآلة وموظفين قديرين . الثانية ، وربما كانت الأهم أن أهل البلاد التى تحت انتدابنا يعرفون أن من وراء كل بريطانى أو فرنسى قوة عسكرية عظيمة ، ومهما حاولنا أن نخدع أنفسنا بقدرتنا فعلينا أن نعترف بأن كثيراً من أعمالنا لا يعزى إلى شخصياتنا بل إلى القوى البرية والجوية التى تزيد من هيبتنا . فاذا ما أخذ عربى مسؤلية الحكم عرف الجميع بأن لا قوة ولا أساطيل وراءه تحميه .

سأقدم إليكم مثلا من وجهة ثانية على قدرة العرب العصريين فى تطبيق النظم الفنية والعلمية الحديثة والاستفادة منها . وبهذه المناسبة سأذكر عملا أشرفت عليه بنفسى : عند ما أنشأت قوة البادية حاولت أن يكون أفرادها من البدو الرحل — وهذه الفئة من العرب أجهلها — ولكن بعد مضى أربع سنين أو خمس تمكن هؤلاء الجهلاء من القيام بقسم النقل الميكانيكى لتأمين مواصلات القوة كما تعلموا استعمال المدافع الرشاشة ؛ وهم الآن يتدربون على إجراء المخابرات اللاسلكية . إن عدداً من هؤلاء أرسل إلى مشغل فورد بالاسكندرية ودرسوا جنباً لجنب مع إيطاليين ويونان ومصريين وجنسيات أخرى وعادوا يحملون كغيرهم شهادات فنية فى « الميكانيك » . ولقد قرأت حديثاً فى كتاب أن البدوى يذبل ويموت — كالهنود الحمر — عندا حتكاكه بالمدينة . فعدا عن خطل هذا الرأى أقرر بأن البدوى — إذا ما أعطى الفرصة — يمكنه أن يصبح متحضراً ومدنياً بكل ما فى هاتين الكلمتين من معان .

انقسام الشعوب العربية :

إن الصعوبة التى يواجهها العرب الآن هى عدم التجانس . وقد سبق أن قلت إن سوريا والعراق معرضتان للمؤثرات الخارجية من جهة ، وللتأثير العربى الخالص من جهة أخرى . وقد كانت تقوم فى أواسط هذه الأقطار وعلى الأخص سوريا وفلسطين وشرق الأردن منافسة شديدة بين ثقافات متباينة . وقد ظهرت هذه المنافسة جلية واضحة بسبب تشدد الأمم الأوربية فى مسألة القوميات .

لقد كان ظهور القومية فى أوربا سبباً فى ظهور القومية العربية . ومثل هذه الفكرة كانت مفقودة فى زمن الامبراطورية العثمانية عند ما كان العرب لايعرفون قضية كهذه قبل ٥٠ سنة . فقد كان الولاء زمن الإمبراطورية العثمانية ولاء دينياً لشخص الخليفة أو للامبراطورية نفسها التى كانت خليطاً من أجناس متعددة . وقد كان العرب لا يهتمون بالقضية القومية حتى احتكوا بالأقوام التى حافظت على قوميتها فقاموا ينادون بأنهم أمة واحدة ذات قومية خاصة . وقد كان عرب فلسطين وهم مختلفو الجنسية والدين — لا يعرفون القومية حتى احتكوا باليهود والانكليز فقاموا ينادون بأنهم عرب وأتحدوا [1] . ومن ثم بعد أضحوا يفهمون القومية شعروا باشمئزاز مما يتخيلونه أو يتحققونه من استخفاف الشعوب الأخرى بأمرهم — والخطوة التى تلت ذلك أن الشباب المتعلم قام يعمل ليتعرف إلى الأسباب التى مكنت الأوربيين من حكم بلادهم فوجدها العلم والمال والقوة ، أو بالأحرى ما هو عليه المجتمع الأوربى الحالى ، فقام يقتبس كل ما هو أوربى ويعمل على السير وأوربا فى مضمار واحد . إن أمام هذه الفئة طريقين مختلفين: الأول أن تجرب أن تعلم العامة فتسير الأمة وتنهض كلها دفعة واحدة . وتطبيق هذا عملياً جد صعب — والثانى أن يقتبس المتعلمون وحدهم كل ما هو أوربى — وهذا ما فعلوه — فيتركون بذلك طبقة العامة من الأمة — وهم الأكثرية — وراءهم وبذلك يفتحون ثغرة واسعة بين طبقات الأمة . وأرى أن هذا سبب ضعف كبير .

---

(١) لقد عرف العرب القومية ونادوا بها منذ فجر تاريخهم، وقد كانت حرب ذى قار بين العرب والفرس زمن الجاهلية مظهراً عظما من مظاهر العروبة. وما قضايا العرب والموالى ودعاة الشعوبية (الأقوام غير العربية من المسلمين) إلا قضايا العروبة والعجمة . وقد جاهر ونادى العرب بعروبتهم منذ بدء الفتح العثمانى أيضاً حتى نهاية الحرب الكونية . وما الثورات العديدة التى قامت بجبل الدروز واليمن والحجاز على الحكم التركي إلا مظاهر رائعة من مظاهر العروبة . وقد استمرت هذه الثورات حتي الحرب الكونية حيث شنق جمال السفاح كثيراً من العرب لأنهم كانوا ينادون بعروبتهم وبحقهم فى حكم أنفسهم بأنفسهم . (المترجم)

التطورات الحديثة

رأينا فى بحثنا عن قابلية العرب للرقى أن الإسلام لا يقف حجر عثرة فى سبيل رقيهم ، وأن جو بلادهم لا يوجد أمة خاملة ، بل على العكس رأينا أنهم شعب قوى حيوى شديد المراس ، وأن تاريخ بلاد العرب الشمالية يرينا أنهم أهل عزم وقوة ، وقد قاوموا جغرافية بلادهم الشاذة التى جعلت أقطارهم الهامة على الأطراف وأوجدت بادية الشام فى الوسط فاصلة أقطارهم عن بعضها البعض — ورأينا كيف أنهم قديرون على الحكم والاستفادة من العلوم والفنون الحديثة كما وجدنا الروح القومية تساعدهم وتسيطر عليهم ولكنها لا تزال الآن محصورة فى طبقة خاصة كما أن الأمة غير متجانسة .

علىّ أن أذكر تحت هذا العنوان نقطتين وهما الموارد المعدنية وتحسين طرق المواصلة الحديثة . لقد سبق أن قلت إن أمماً كثيرة حاولت أن تحكم البلاد العربية الشمالية ولكن لم يكن القصد من ذلك استثمار موارد البلاد الطبيعية نفسها ولكن لأنها الممر إلى الشرق والجسر البرى الوحيد لأفريقيا .

وقد بقيت أواسط الجزيرة العربية حرة فى كل أدوار التاريخ إذ كان يظن أنها فقيرة لدرجة أنها لا تساوى كلفة فتحها . لقد اكتشف النفط — البترول وزيوته — فى عدة مواضع من هذه الأقطار ، ولكن لم تعرف مناطقه وكميته بوجه التحديد . وكذلك يظن وجود بعض المعادن الثمينة فيها ، ولكن لا يمكن لأحد أن يتكهن الآن عما ستكون نتائج هذه الاكتشافات — فهى إما أن تدر الثروة — التى هى أساس القوة فى العالم على البلاد وإما أن تنبه أطماع الأمم الأوروبية .

بقيت هناك قضية طرق المواصلات الحديثة . لقد سبق أن تكلمت بهذه المناسبة عن صعوبة اتحاد الأقطار العربية ثقافياً أو إدارياً أو عسكرياً بسبب الصحارى التى تباعد بينها ، وقد استغرقت رحلة تمت بها قبل ١٥ سنة على ظهور الجمال من العراق إلى شرق الأردن ثلاثة أسابيع ، ولكن قطع هذه المسافة الآن لا يستغرق أكثر من ٢٠ ساعة بالسيارة أو ساعتين ونصف ساعة بالطائرة . يجوز أن يكون للتحسين الذى طرأ على طرق المواصلات أثر بعيد فى توحيد الثقافة بأقطار كالأقطار العربيــة التى تعد صعوبة المواصلات بينها من أكبر الموانع للقيام بأى عمل من الأعمال . ويجوز أن يقضى هذا التحسن على أهمية مركز حلب الحربى قضاء كلياً — فقد سبق أن تعرضت بكلامى لهذا الموضوع وقلت إن من يتمركز فى حلب يمكنه أن يعزل سوريا عن العراق عزلاً تاما — ولكن إذا أمكن تعبيد طرق جيدة وكثيرة فى وسط البادية فإن أهمية هذا المركز تزول .

وأخيراً أرى من الأهمية بمكان أن أذكر شيئاً عن الإذاعة واللاسلكى — مع العلم بأن هذين الفنين متأخران فى الأقطار العربية . لا ريب أنه سيكون للاذاعة واللاسلكى أثر بعيد فى تقدم التهذيب السياسى بين الشعوب المتأخرة كما أن الإنسان يمكنه إهمال إرسال الجرائد لأناس أميين ويمكنه أيضاً الاستغناء عن البريد ولكن من السهل عليه أن يبث أية آراء سياسية بين سكان أقصى واحة من واحات الجزيرة مهما بلغ سكانها من الجهل وذلك بواسطة الإذاعة اللاسلكية .

هذه نهاية ما أردت أن أقوله وأحب إن سمحتم لى أن أقرأ عليكم قبل الختام النتائج التى وصلنا إليها فى بحثنا .

١ — إن موقع بلاد العرب الشمالية وتكوينها الجغرافى ، كممر إلى الشرق وجسر برى يؤدى إلى أفريقيا جعلها عظيمة الأهمية — وستبقى على الأغلب كذلك مستقبلاً .

٢ — إن تباعد الأقطار العربية وتكوينها مثلثاً تتوسطه الصحراء جعل الاتحاد السياسى والعسكرى بينها صعباً جداً

٣ — إن البلاد المجاورة للصحراء من سوريا والعراق وشرق الأردن كان يؤمها ويتوطنها العرب النجديون على مر العصور بينما نرى بلدان الساحل من سوريا وفلسطين — وحديثاً — المدن العراقية خاضعة للتأثير التركى والأوروبى وبذلك وجدت ثقافات متباينة فى البلاد .

٤ — إن روح القومية التى اكتسحت أوروبا خلقت مثلها فى الأقطار العربية وقد غذيت هذه الروح باتباع نفس الطرق التى اتبعتها أوروبا للحصول على القوة ونتج عن ذلك أن الفئة الراقية من العرب التى أرادت أن تجارى أوروبا بسرعة لم تتمكن من النهوض بسواد الشعب الجاهل مما سبب حدوث فروق ثقافية واسعة بين طبقات الشعب .

لا يا معـــــالى الوزير . . .

لقد أخطأك التوفيق !

للأستاذ ســـيد قطب

فى جلسة مجلس النواب التى نظرت فيها ميزانية وزارة الشئون الاجتماعية وقف النائب المحترم عبد الفتاح عزام ليقول :

« إننا فى حاجة إلى حماية أخلاق أبنائنا وبناتنا مما تحمله إليهم الإذاعة فى بيوتهم من عبارات جارحة من « ياحبيبى » و « ياروحى » ويجب أن نحذف اعتماد الإذاعة ، ما لم تكف عن هذا الذى تذيعه ولا نستطيع حماية بيوتنا منه ... »

ووقف معالى وزير الشئون الاجتماعية ليقول :

« إن فى كلام حضرة النائب المحترم مبالغة ، وإن هذا الذى يشكو منه له نظائره فى بلاد العالم المتمدن ... »

أما أنا فأكاد أجزم بأن معالى الوزير لا يستمع لكل ما تذيعه محطة الإذاعة ، وإلا لكان رده على النائب المحترم غير هذا الرد . فما يستطيع إنسان سليم الفطرة أن يستمع لهذا الذى يذاع ، ثم لا يدركه شعور الاشمئزاز ، حتى ولو كان لا يقيم وزناً للأخلاق !

وأحب قبل كل شىء أن أقرر أن الأخلاق التى أعنيها ليست هى الأخلاق التقليدية التى يتحدث باسمها بعض الجامدين والتقليديين ، والتى لا تتعدى ظواهر السلوك ، وشكليات التقاليد ... إنما أعنى بالأخلاق ذلك الشعور الطبيعى السليم الذى ينفر من التخنث كما ينفر من الفحش . وهذا الشعور فى أبسط صوره هو الذى يخدشه ما تذيعه محطة الإذاعة المصرية فى أغلب الأحيان

والحب الإنسانى الرفيع ليس عيباً ، والتعبير عنه ليس عاراً .. ولكن الحب — كما يبدو فى محطة الإذاعة — هو حب التخنث مرة ، وحب التبذل مرة ، وكلاهما ليس هو الحب الفطرى السليم الذى يقوم بين الرجل والمرأة لتبنى عليه دعائم الحياة

ولعل أشنع بدعة تكثر منها المحطة فى الأيام الأخيرة خاصة ، هى الإذاعة من الصالات والإذاعة من الأشرطة السينمائية . وهو تصرف غير مفهوم ، ما لم يكن القصد هو ملاحقة الناس فى بيوتهم بما يقال فى أوساط وأماكن يعف كل إنسان مهذب عن الذهاب إليها ، ويعف بصفة خاصة أن يسمح لبناته وأهل بيته بمشاهدتها.

وكلنا نعرف رواد الصالات ، ونعرف ما يجرى داخل هذه الصالات ... نعرف أن جماعة غير مهذبين يرتادون هذه الأماكن ؛ وقد استعدوا للسهرة بالخمر كيما تنطلق فى أجسادهم أقصى حيوانيتها ، وكيما يستثير حيوانيتهم ما سيشاهدونه من اللحم الرخيص فى هذه الصالات ... ثم هذا اللحم الرخيص يعرض فى أضواء حمراء مهيجة على أوضاع لا يرضاها إلا « الرقيق الأبيض » الذى يقتات

---

٥ — بعد درس مناخ وتاريخ وديانة ونفسية سكان الأقطار العربية الشمالية يمكننا أن نقرر بأن ليس فى الإمكان وضعهم فى عداد الأمم غير القابلة للرقى ؛ فقد ظهر لنا جلياً أن العرب يملكون كل المؤهلات التى تمكنهم أن يكونوا شعباً عاملا كأى شعب أوروبى .

٦ — إن وجود النفط ومعادن أخرى فى بلاد العرب أوجد احتمالات لا يمكن التكهن بنتائجها فقد تدر الثروة على العرب فيضحون قوة عالية أو تكون مرتعاً جديداً لأطماع الأمم القوية الأخرى .

٧ — إن صعوبة المواصلات كانت تقف فى وجه الوحدة العربية ولكن استمرار تحسين طرق المواصلات الحديثة قد يساعد فى وصول البلاد العربية إلى اتحادها ونهائياً إلى وحدتها .

المستقبل :

يمكننا حصر منهج الرقى فى البلاد العربية بما يلى .

١ — ستمضى برهة غير قصيرة حتى يتمكن سكان الأقطار العربية الشمالية من الحصول على تجانس سياسى وثقافى ويجوز أن تعجل طرق المواصلات الحديثة إنجاز هذا العمل .

٢ — إن وسائل الدفاع عن الأقطار المذكورة صعبة ولكن تحسين طرق المواصلات فى البادية قمين بتخفيف هذه الصعوبة .

٣ — إن العرب يملكون المؤهلات الكافية لصيرورتهم أمة عصرية هامة ولكنهم لا يقدرون على السير وحدهم الآن .

٤ — يتوقف الاستقلال السياسى فى كثير من الأحوال على العوامل الخارجية ولذلك لا يمكن التكهن من الآن عن الوقت الذى يمكن للعرب فيه أن يصلوا إلى وحدتهم وينالوا استقلالهم السياسى .

المترجم

جميل قبعين

من هذه الموائد القذرة ... ثم يهيج السعار الحيوانى ... يهيجه النور الأحمر، والرقص الخليع، والكلمات المكشوفة، والحركات الداعرة، والنبرات المتخلعة، ويهيجه السُّكْر السرف، والدم المتنزى فى أجسام جائعة ... فينطلق ذلك كله فى جو معربد صاخب داعر تشمئز له الفطرة السليمة

... ثم تأتى محطة الإذاعة — الإذاعة الحكومية — فتنقل ذلك كله إلى البيوت الطاهرة ... إلى الزوجات الفاضلات، وإلى العذارى، ونحب أن نقول للمحطة: (إنه لا يزال هناك عذارى ولو قليلات ... !) وإلى الصبية والأطفال والمراهقين، وإلى جميع أولئك الذين عفّوا عن مشاهدة هذا الفحش الداعر فى مكانه، فانتقل إليهم فى بيوتهم، وتسور الجدران عليهم، لا لذنب جنوه إلا أنهم يقتنون جهازاً للاستقبال، وأن محطة الإذاعة الحكومية تريد لهم هذا الفحش الذى يفرون منه، فيلاحقهم إلى البيوت !

فأما الأشرطة السينمائية، فلا نستطيع الحديث عنها، فأصحابها يملكون من السلطة فى الدوائر الرسمية ما يسمح لهم بأن يخرجوا لنا ألسنتهم إذا نحن حاولنا مقاومة الفساد النفسى والخلقى الذى يبثونه فيها، من ذلك الغزل المخنث يتطرى به رجل رقيع فى أغانيه، أو ذلك الفحش الواطى تتخلع به امرأة هلوك فى نبراتها ... ثم يدعون ذلك حباً ... !

وإنه لحب، ولكنه ليس حب الرجل السليم الفطرة للمرأة السليمة الطبع ... هو حب المخنثين والسواقط من الرجال والنساء. ذلك الحب الذى تعرفه المواخير ولا تعرفه البيوت، بل لا تعرفه الشوارع ذات الهواء الطلق. فما يتم حب من هذا الذى تعرضه الأفلام فى الهواء الطلق ... إنما يتم فى جو راكد حبيس يغشيه دخان النرجيلة، وسرحان الأفيون فى ماخور ...

ومع هذا كله، فنحن لا نطمع فى أن تراقب هذه الأشرطة قبل إخراجها، ليحذف منها ما يخدش الطبع السليم، حتى لا نصور الحب — وهو عامل البناء والخلق فى هذه الحياة — تلك الصورة المريضة المتخاذلة الرخوة الرقيعة ...

لا نطمع فى هذا لأننا نعرف مدى نفوذ أصحاب هذه الأشرطة فى الدوائر الرسمية وغير الرسمية ! ولكننا نطمع على الأقل فى أن تصان أسماع البقية القليلة الباقية فى البيوت من العذارى والسيدات عن أن تلوث وتخدش بالأغانى المائعة الهابطة الداعرة المخنثة، يتطرى بها رجل رقيع، أو تتخلع بها امرأة هلوك ... وذلك أبسط مظاهر الحماية لمن يعفّون عن مشاهدة هذه الأفلام واستماع هذه الأغانى، فإذا بها تتسور عليهم الجدران خليعة ماجنة مخنثة، فى حين لا يملكون لأنفسهم منها حماية، لأنهم إن أغلقوا جهازهم الخاص حملتها إليهم أجهزة الجيران ! !

وكل ما يحتج به مروجو هذا «الأفيون» الخطر الذى يقتل فى الشعب كل شعور فطرى سليم، ويحيله جماعة من مخنثى الشبان، ومبتذلات الفتيات، وداعرات النساء ... كل ما يحتج به تجار هذه «المخدرات» أن الشعب يقبل عليها، فهى إذن تلبى رغباته الحقيقية

الشعب يقبل عليها ... هذا صحيح، لأن الحيوان الهائج كامن فى كل إنسان، فإذا نحن ظللنا دائماً نهيج سعار هذا الحيوان، ولم نحاول مرة أن نرتفع به إلى مستوى الآدميين، فلا بد أن يأتى اليوم الذى لا يبدو فيه إلا هذا السعار

والناس يقبلون على «الأفيون» وسائر المخدرات، ولكن السلطات تكافح الأفيون وسائر المخدرات ... ذلك أن هناك رجلا إنسانا فى حكمدارية القاهرة قد آمن بفكرة المكافحة وأصبحت جزءاً من دمه — (وهو أجنبى، وأنا لا أستريح لبقاء الأجانب فى وظائفنا الكبرى ... ولكن الحق حق) !

فهل يتاح لمصر من أبنائها رجل يؤمن بخطر مثل هذه الأفلام والأغانى التى تأكل نفوس الشعب أكلا، وتفسد فطرته الإنسانية، بل تفسد فطرته الحيوانية، حين تصور له الحب فى ذلك المظهر المترهل الذميم ؟

هل يتاح لمصر ذلك الرجل الذى لا تخدعه كلمات «العالم المتمدين» عن الشعور الفطرى السليم، والذى يرصد لمكافحة هذا «الأفيون» الخطر جهده وقواه ؟

على أية حال هذه أمنية لا نخدع أنفسنا بتحقيقها، ولكننا نقنع فقط بأن نطلب لأنفسنا الحماية من محطة الإذاعة الحكومية على النحو الذى اقترحه النائب المحترم، أو على نحو سواه

وهذا الذى نطلبه هو أضعف الإيمان !

سيد قطب

الحياة الأدبية في الحجاز

للأستاذ أحمد أبو بكر إبراهيم

كتب الأستاذ «إبراهيم هاشم فلالي» مقالا تحت هذا العنوان في عدد سابق من «الرسالة» عرض فيه صوراً جميلة من الأدب الحجازي الحديث ، فرأيت إتماماً للفائدة أن أتبع مقاله بكلمات عن النهضة الحديثة لهذا الأدب حتى يدرك قراء الرسالة شيئاً من أسباب هذه النهضة والاتجاهات الأدبية في هذه البلاد المقدسة .

ولست أريد في هذه الكلمات أن أتتبع النهضة من لدن وجودها في الحجاز على يد أحمد بن زيني دحلان المتوفى سنة ٨٨٦ م ولكني سأكتفي بالنهضة السعودية القائمة فإذا ما انتهيت من عرضها بسطت الكلام في الشعر والنثر وبينت خصائصهما واتجاهاتهما .

النهضة السعودية

الحجاز الحديث قطر متوثب للرقي مؤمن بقدمه العريق وواثق بالنجاح ؛ فهو يبذل الجهد ويواصل العمل لمسايرة الأمم العربية التي سبقته في النهضة . وقد بعث فيه هذا الروح القوى ملك عربي واسع الآمال يجيد العربية ويطرب للشعر البارع والنثر البليغ ويستحث الأدباء للاجادة ويدفعهم إلى العناية ، فهو يكافئهم على إحسانهم ويحلهم من نفسه منزلة سامية ، ويكفي أن يقرأ الزائر لهذه البلاد ثبتاً بأسماء المستخدمين في الإدارات والمصالح ، فيؤمن بعد ذلك أن الحكومة السعودية لم تخترهم عبثاً وإنما كشفت فيهم البراعة في الأدب فأرادت أن تكافئهم عليها بهذه المناصب ليعيشوا راضين مطمئنين منصرفين إلى الإجادة والإنتاج : فالشيخ محمد سرور الصبان ، والغزاوي ، وعلي حافظ ، وعبد القدوس الأنصاري . كل أولئك وغيرهم من الأدباء يتولون كثيراً من مناصب المملكة وينهضون بأعبائها وينالون فوق ذلك عطف جلالة الملك وإحسانه ، ولهذا وغيره من الأسباب الثقافية والقومية رأينا الأدب الحجازي في هذه الفترة الوجيزة من الزمان يثب وثبة توشك أن تكون طفرة .

ومن أسباب النهوض في العهد السعودي العناية بالقومية العربية بعد أن أغفل الناس شأنها ردحاً طويلا من الزمان ؛ فقد جاء العهد الجديد يحمل الطابع العربي الخالص من كل شائبة ودخيل ، ويحمل القوم على التعصب لكل مظاهر العروبة حتى لا تفنى شخصيتهم وتتضاءل ذاتيتهم ، عندئذ أدركوا أن في الحياة الجديدة مغزى سامياً لم يدركوا إلا أوائله في الثورة الحجازية ، ولا شك أن ارتباط الأدب بهذه القومية ارتباط متين فهو يقوى بقوتها ويضعف بضعفها . ويكفي أن يشعر الناس أن مليكهم مَعْنِيّ بنهضة عربية تعيد إلى الحاضر سيرة عهود أجدادهم السابقين ؛ حينئذ يعملون جاهدين لينسجوا على منوالهم ويتأثروهم في كل شيء : في أخلاقهم ولغتهم ومظاهر حياتهم .

والقارئ للشعر الحجازي في النهضة السعودية يجد ظاهرة التعصب للقومية العربية واضحة جلية : فالشعراء كثيراً ما يذكرون ما كان للشرق والعرب من مجد سابق ويتحسرون على هذا المجد الذي ضاع واندثر وحل محله التأخر والجمود . وفي هذه المعاني يقول الشاعر الغزاوي شاعر الملك ابن السعود :

أجلْ . تقهقر هذا الشرقُ فانغمزتْ ... قناته بعد أن صالت بها الأممُ

واندكّ مجدُ بنيه منذ أن غفلوا ... عن الحياة وزلّتْ منهمُ القدمُ

وخالفوا فطرة الأخلاق واختلفوا ... فسامهم كلَّ خسفٍ من رقى بهمُ

وهو يقول أيضاً في موضع آخر مبيناً أن العرب قد عرفوا الحضارة وسبقوا إلى النهضة قبل الغربيين :

هل كان للغرب المصوِّتِ نأمةٌ ... أيام كان الشرق لا يستلمْ

أو كان للغرب المدل بعلمه ... بَصَرٌ بما أمسى به يتنعمُ

في هذه الأبيات وأمثالها نرى اعتداداً بالمجد التليد الذي تركه العرب باقياً على الزمان كما نرى اعتزازاً به وحرصاً على إعادته ففيه البطولة وفيه المجد والمعاني السامية . وقد قال أحدهم وهو عبدالوهاب آشي في هذا المعنى :

بلادٌ سمتْ بالأُلى عرفوا ... طريقَ المعالي ومضمارَها

سعى المجدُ طوعا إلى بابهم ... وأولتهم الأرضُ أمصارها

إذا جَد جِدّ الوغى يمموا ... ميادينها وجلوا عارها

وما عن ونى يؤثرون السلام ... ولكن يريحون ثوارها

بهذا الإيمان الصادق بمجد الأسلاف يتدفق شعر الحجازيين المحدثين ويرون أنهم لن ينجحوا في حاضرهم إذا لم يقتفوا آثار السابقين ويعملوا على غرارهم فإذا فعلوا ذلك كان المجد قريباً منهم لأنهم أهل له من قديم الزمان وفي ذلك يقول عبد الله بلخير :

بوركتَ يا عزم الشباب وقُدستْ
روحُ الشجاعة فيـك والإقدامُ

أملُ الجزيرة قد أنيط بعزمكم
بغـدادُ ترقب نوره والشامُ

متطلعين إلى الحجاز فإنه
في كل عصرٍ قائدٌ وإمامُ

ومن الخير في هذا المقام أن ننقل إلى القارىء ما كتبه معالي الدكتور هيكل باشا في نهضة الحجازيين عن طريق الالتفات إلى الماضي والاعتزاز بالقومية العربية فهو يقول : « وما دام شباب العرب قد بدأوا نشاطهم الفكري على هذه الصورة الواضحة في (أشعارهم) فمن حقهم وحق كل عربي أن ينفسح أمامهم ميدان الأمل في المستقبل ، فالأدب نواة كل عمل وكل حياة بل هو رحيق الحياة وروحها ، والروح ما قويت قديرة على كل شيء ، ولقد أتيح لي أن أتعرف إلى كثيرين (منهم) فرأيت فيهم طموحاً وأملا وحرصاً على تحقيق هذا الأمل ، أما وهذا شأنهم وهذه عزيمتهم الصادقة فلهم أن يصوروا مستقبل بلادهم كما يشاءون ، فإذا جاء الوقت الذي تدوي في العالم صيحته كان هذا طليعة العظمة العربية المقبلة وكان التقدم الذي يسير في أثر أمجاد أبناء أمجاد يعيدون لبلادهم عظمتها ومجدها »

والحجازي خليق ببلوغ هذه الغاية التي يسعى إليها لأنه جلد صبور ، قد أوحت إليه الحياة الخشنة في الصحراء كثيراً من أخلاق الصرامة والثبات والعمل المتلاحق الذي لا يدركه فتور ولا كلال .

ولا شك أن هذا الاتجاه العربي القومي قد أفاد اللغة والأدب أجل الفوائد ، ولا شك كذلك أن هذه الآمال التي استمدوها من الماضي العريق قد دفعت الأدب دفعاً قوياً ظهرت ثمراته في عهد قليل ، ولن يتوانى هذا الأدب عن تقدمه السريع وإمعانه في التجديد والرقي ما دامت القومية العربية طابعه وفسحة الآمال تستحثه وتنهض به . وتاريخ الآداب في الأمم المختلفة يوضح لنا هذا القول ؛ فما قوي أدب أمة من الأمم إلا في ظلال قوميتها وعلى أساس من آمالها المتوثبة الجريئة ، وما ضعف إلا في العهود التي تخاذل فيها الناس وتناسوا قوميتهم وفقدوا آمالهم ؛ لأن الأدب يتمشى مع القومية والآمال ويستمد منهما معاني الحياة الباقية الخالدة

الثقافة

الثقافة عماد الأدب ومادته ولا ينهض أدب في أمة من الأمم ما لم يتهيأ لها من وسائل العلم ما يقدرها على إدراك الحق والجمال، وبهذه الثقافة يتسع أفق الأدب فإذا ما تناول موضوعاً تناوله عن بصر به وعلم بدقائقه ونواحيه المختلفة .

وقد منيت الثقافة في الحجاز في العهد العثماني بما جعلها نهائية متأخرة ومحدودة تافهة لا تغني ولا تنفع في إعداد الأديب المثقف ؛ فقد اقتصر التعليم في ذلك العهد على التعليم الابتدائي وهو كما نعلم لا يعد شاعراً ولا يخرج كاتباً ، فإذا عرفنا مع هذا أن العناية باللغة التركية قد فاقت العناية باللغة العربية وأن المواد المختلفة في هذه المدارس كانت تدرس بالتركية ؛ أمكننا أن ندرك إلى أي حد ضعفت العربية في هذه البلاد .

نعم كان في الحجاز الحرمان الشريفان يقوم فيهما العلماء بتدريس الدين واللغة العربية على الطريقة التي كانت تتبع في الأزهر الشريف وهي طريقة لم يظهر فضلها إلا في حفظ العلوم اللسانية والدينية من الضياع ولكنها لم تجد في تخريج الأدباء والشعراء .

لهذا كله أشفق المصلحون في الحجاز من ذوي المروءة على اللغة العربية ومصيرها فهبوا لإنشاء المدارس التي تنهض بالدين والأدب وكان أسبقهم إلى هذا العمل السيد محمد زنيل فقد أنشأ مدارس الفلاح في جدة ومكة سنة ١٣٢٦ للهجرة وجاهد في سبيل نهضتها وبقائها على الرغم مما أثير حولها من الشكوك والأوهام ، وكان لهذه المدارس الحرة الفضل الأكبر في تخريج طائفة من الشبان هم الآن حملة لواء النهضة الأدبية والفكرية في البلاد الحجازية .

(البقية في العدد القادم)

أحمد أبو بكر ابراهيم

النظـــام الزراعى في بلاد السوفييت

للدكتور محمد مأمون عبد السلام

اتساع الروسيا وأثره فى الزراعة

ليس فى العالم دولة باتساع الروسيا ، فمساحتها ٨٫٧٦٤٠٠٠ ميل مربع ممتدة من أواسط أوربا غرباً إلى المحيط الهادى شرقاً ، ومن المنطقة المتجمدة الشمالية شمالا إلى البحر الأسود وبحر الخزر والقوقاز وإيران والصين جنوباً . فبلاد مثل هذه تختلف أجواؤها من البرد القارس فى الشمال إلى الحر اللافح فى الجنوب ، ومن غزارة الأمطار وما يتبعها من الرطوبة إلى الجو الصحراوى الجاف ذى الرياح الحارة . فتكاد تكون روسيا سلسلة من السهول المتسعة الأرجاء تفصلها سلاسل من الجبال وعدة من الأنهار ، فالزراعة فيها إذن تمثل زراعة المناطق شبه الحارة ، وكذلك الزراعة الصحراوية الجافة ، وزراعة المناطق المعتدلة الرطبة والمناطق الباردة الثلجية . وكان يسكن هذه البلاد نحو ١٧٠ مليون نسمة منهم نحو ٨٠٪ من الفلاحين المسخرين لأسيادهم من أسرة القياصرة والنبلاء والأشراف الذين كانوا وحدهم يمتلكون الأرض

حالة الفلاح قبل عهد السوفييت

نعم كان هؤلاء الفلاحون عبيداً أرقاء ينتقلون من سيد إلى سيد ، وكان الفلاح يسمى « موجيك » ، وهى تصغير كلمة « موج » أى الإنسان بالروسية . ومعنى ذلك أن الفلاح الروسى كان فى نظر مستعبديه فى عهد القياصرة مخلوقا أدنى من الإنسان كالمنبوذين فى الهند ، فلا عجب أن وصموه بما يوصم به الفلاح المستعبد فى أى بلد آخر بالوحشية والقسوة والكسل واللصوصية والنفاق والغش وغيرذلك من الصفات المنفرة ، ونسوا ما وضعه الله فيه من المحاسن الخلقية التى برزت فى أوضح شكل بعد نيله حريته . فالفلاح الروسى كغيره من أبناء الطبيعة ماهر فى الاستفادة من كل ما حوله فتراه فى الغابات الشمالية الروسية يصنع قوارير السوائل من قلف الأشجار، ويجدل الألياف الداخلية لهذا القلف ويصنع منها أحذيته. وتراه فى بلاد أكرانيا ، حيث تنعدم الأشجار الخشبية يبنى أكواخه من قصب الغاب والطين . وترى الفلاح الروسى يصنع سروج خيله بنفسه من الجلود التى يدبغها ، فهو لا يترك من منتجات بيئته شيئاً إلا استغله لمصلحته

حالة الفلاح فى عهد السوفييت

فلما نشر السوفييت حكمهم فى هذه الامبراطورية الواسعة الأرجاء ، حرروا الفلاح من عبوديته ، وعاملوا كافة الشعوب والجنسيات التى كانت تحت حكم القياصرة على قدم المساواة ، فجعلوا الامبراطورية الروسية القديمة التى تضم ١٨٠ جنسية فى إحدى عشرة جمهورية وطنية و ٢٢ جمهورية مستقلة لكل منها دستورها الخاص مع تمتعها بكامل استقلالها وحريتها ومساواتها مع كافة جمهوريات الاتحاد السوفيتى الأخرى ، ولكل من هذه الجمهوريات مطلق الحرية فى الانفصال عن الاتحاد السوفيتى متى شاءت . فالاتحاد السوفيتى إذن عبارة عن مجموعة من الأمم المستقلة المرتبطة برباط الثقافة والمصلحة الاقتصادية ، وهذه الجمهوريات هى جمهوريات الاتحاد الروسى فى أوروبا ثم أكرانيا وبيلوروسيا وكاريليا الفلندية ومولدافيا ولتوانيا ولاتفيا والجمهوريات الاستونية واذربيجان وجورجستان واريفان أى أرمينيا وتركمنيان والأزبك والتادجيك والقازاق والكرغز ، وذلك عدا المقاطعات المستقلة داخل هذه الجمهوريات التى تمثل نحو أربعين جنسية تتمتع كل منها بكامل حقوقها فى إدارة نفسها بنفسها

استصلاح الأراضى والتوسع فى الزراعة

مساحة الأراضى المزروعة

كانت مساحة الأراضى المزروعة فى الروسيا القيصرية (فى سنة ١٩١٣) ٢٥٢ مليون فدان . فلما تولى السوفيت الحكم رأوا أن السكان فى الروسيا يزيدون سنة عن سنة حتى أن تعدادهم بلغ فى يونيو (سنة ١٩٤١) ١٩٠ مليون نسمة فعملوا على استعمار الموات من الأراضى باستصلاحها ونشر الزراعة شمالا وشرقا فى مساحات هائلة لم تمسها يد الزارع من قبل فبلغت مساحة الأراضى الزراعية بجهودهم (فى سنة ١٩٢٩) ٣٨٣ مليون فدان وبلغت

٣١٧ مليون فدان فى سنة ١٩٣٥ أى بزيادة قدرها نحو ٦٥ مليون فدان. وقد استصلح السوفيت فى ثلاث سنوات من سنة ١٩٣٣ إلى سنة ١٩٣٥ خمسة ملايين فدان كانت من قبل مستنقعات، وأربعة ملايين فدان أخرى فى سنة ١٩٣٦. وقد استمروا فى التوسع فى الزراعة فى المناطق الشمالية النائية، وفى الشرق فى الأراضى شبه الجافة حتى بلغت مساحة الأراضى الزراعية فى سنة ١٩٣٧ (٤٢٨ مليون فدان) أى أن مساحة الأراضى الزراعية زادت فى حكمهم عما كانت عليه فى سنة ١٩١٣ (١٧٦ مليون) فدان أى بزيادة نحو ٧٠ ٪ وقد ازدادت المحصولات بهذه النسبة وكانت الزيادة واضحة بصفة خاصة فى المحصولات الصناعية كحاصلات الألياف مثل القطن والكتان والقنب والرامى وغيرها، وفى حاصلات الزيت كالسمسم والفول السودانى وعباد الشمس والسلجم والخروع وبذر الكتان والقرطم وغيرها وفى بنجر السكر. وقد اهتموا بصفة خاصة بالتوسع فى الخضروات فزادوا مساحتها بنحو ضعفين ونصف، وبمحصولات العلف إذ ازدادت مساحتها بنحو أربعة أضعاف، وأدخلوا محصولات منها جديدة مثل حشيشة السودان وأنواع من الحندقوق والقضب (البرسيم الحجازى) والفصفصة والجلبان وحشيشة التيف وأنواع مختلفة من البرسيم والحشائش النجيلية.

إلغاء الزراعة الفردية وإنشاء الزراعة التجمعية

وقد وضع السوفيت نظامهم الزراعى على أساس جعل موارد الإنتاج ملكا للدولة، وهم ينفذون إصلاحاتهم طبقاً لمشروعات موضوعة لصالح الشعب عامة لا لمصلحة طبقة خاصة على حساب باقى الطبقات، وبرامجهم موضوعة بحسب الأصول العلمية الحديثة؛ ولكن مشروعاتهم تتبدل وتتغير طبقاً لتبدل الظروف والأحوال. كما أنهم لا يتقيدون لإتمامها بميعاد خاص، فهم بذلك يتبعون تعاليم زعيمهم لينين الذى قال: « ليست تعاليمنا قانوناً ثابتاً فستعلمنا الحياة والتجربة لنهتدى إلى الطريق المستقيم، فخبرة الملايين من الناس وهم يسعون ويعملون تنير لنا الطريق ».

وقد وضعوا نظامهم الزراعى على أساس إلغاء الزراعة الفردية لأنها لا تتفق مع التقدم الزراعى الميكانيكى الحديث ولا تصلح لبلاد متسعة الأرجاء مترامية الأطراف مختلفة الأجواء كالروسيا وعلى إحلال نظام الزراعة الواسعة بالآلات الميكانيكية الحديثة محلها.

وقد دخل السوفيت فى تجارب قاسية لبلوغ هذه الغاية كلفت البلاد الروسية عشرات الملايين من الضحايا وأموالا لا تحصى. فبنوا سياستهم الزراعية على إلغاء الملكية الفردية واستبدالها بإنتاج تجمعى لكيلا يضيعوا المجهود الآدمى من غير مبرر فى الزراعات الفردية الصغيرة. فأنشأوا المزارع الحكومية الواسعة والمزارع التجمعية ومحطات للجرارات والآلات الزراعية لتقوم بتجميع العمليات الزراعية.

المزارع الحكومية (مزارع السوفهوز)

رأى السوفيت أن ازدياد مساحة الأراضى وامتداد الزراعة فى المناطق النائية لا يتأتى إلا بإنشاء المزارع الحكومية الواسعة التى سموها باسم «سوفهوز»، وقد بدأوا إنشاءها من مبدأ حكمهم فبلغ عددها فى سنة ١٩٢٢ ألف مزرعة تقريباً. ومن سياستهم أن يعمل فيها العمال الزراعيون كموظفين بمرتب ثابت، وكونت حكومة السوفيت لجنة للحبوب غرضها تنمية مزارع الحبوب الحكومية للحصول على كميات من الحبوب تزيد قليلا فى السنة عن مليون ونصف طن، فأنشأوا ١٥٠١ مزرعة حكومية جديدة مساحة أراضيها ١٢ مليون فدان فى جمهورية قزاقستان، وفى الفولجا الأوسط والسفلى وفى الأورال وشمال القوقاز واوكرانيا وجمهورية البشكير وأنشأوا بعض المزارع الكبيرة فى المناطق الجافة وشبه الجافة، وكانت أراضى هذه المزارع قبل الانقلاب الزراعى الميكانيكى فى الروسيا لا يمكن الانتفاع بها فى الزراعة

وتعتبر هذه المزارع محاولة من حكومة السوفيت لاستعمار هذه المناطق التى كانت فيما سبق مراعى طبيعية للخيل والأغنام، ولكى ينتفع بهذه المساحات الهائلة من الأراضى التى طردت منها الأغنام والخيل اعتمد السوفيت اعتماداً كلياً على استعمال الآلات فى الزراعة ليتجنبوا بذلك فعل الرياح الحارة الجافة المحرقة للمحصولات. ولا جدال فى أن رى هذه الأراضى إذا أمكن يأتى بالفائدة المطلوبة، ولكن هناك صعوبات تجعل ريها باهظ التكاليف، لذلك اعتمد السوفيت فى سقيها على ثلوج الشتاء، فهم يحرثونها بعد إزالة المحصول الصيفى، ثم يزرعونها فى الربيع بعد ذوبان الثلج زراعات متعاقبة من القمح. وقد أنتجت هذه

الأراضي البكر محصولا فاق كل متوسط فى الأراضى الروسية الأخرى .

وقد بلغ عدد العمال الزراعيين فى هذه المزارع الحكومية فى موسم سنة ١٩٣٤ ثلاثة ملايين نسمة فيما يزيد قليلا عن أربعين مليون فدان زرع ثلاثة أرباعها حبوباً . وبلغ عدد المزارع عشرة آلاف مزرعة مساحتها ٣٨ مليون فدان منها مساحات كبيرة لم تزرع بل تركت للرعى

وتتبع المزارع الحكومية أكثر من عشر من الإدارات الحكومية المختلفة ؛ لذلك اختلفت طرق إدارتها والنتائج المتحصلة منها ، فكانت مصلحة المزارع الحكومية تدير ١٧٣ مليون فدان لا يزرع غير تسعها فقط ، وتدير قومسيرية الزراعة ٥٣١ مزرعة مساحتها ١٧ مليون فدان يستغل ثلثاها فى تربية الخيل وكذلك لإكثار التقاوى ولزراعة القطن والكتان والقنب والحاصلات البقولية والأرز ونباتات المناطق شبه الاستوائية وتربية الحرير والماشية والأغنام والماعز ، ويتبع قومسيريات الزراعة فى جمهوريات الاتحاد السوفيتى المختلفة ٦٠٠ مزرعة للخضروات والدجاج والفواكه وكروم العنب ؛ ولقومسيرية صناعات الأغذية نحو هذا العدد من مزارع بنجر السكر والخضروات والبطاطس والدخان والدجاج والخنازير والزيوت العطرية عدا مساحات هائلة من الصوبات الزجاجية . وقد أعطى السوفيت عناية خاصة لصناعة الزيوت العطرية التى تستعمل فى الروائح العطرية فخصص لزراعة محصولاتها ٦٠٠٠ فدان فى سنة ١٩٣٦ ولا يقوم بهذه الزراعة والصناعة إلا النساء .

وكان لقومسارية التجارة الخارجية ٢٨ مزرعة مساحتها ٧,٠٠٠,٠٠٠ مليون فدان خصصت لتربية الثعالب الفضية والأغنام الفارسية والأرانب وحيوانات الفراء المختلفة .

وكانت قومسارية الصناعات الثقيلة تزرع المحصولات التى يستخرج منها المطاط فى مساحة ١٣٠ ألف فدان موزعة فى مناطق واسعة وخاصة فى مناطق قازاقستان وبحر أزوف والبحر الأسود .

وكان ١٣ مليون فدان تتبع ست قومسريات مختلفة لتمد هيئات مختلفة تعاونية وغير تعاونية مثل مطاعم المصانع والحوانيت ولتزويد المصالح الحكومية الأخرى المختلفة باحتياجاتها من المواد الخام ، ولم تتعد مساحة الأرض المزروعة فى المزرعة الواحدة ألفى فدان

وقد راعت حكومة السوفيت أن تجعل مساحة المزارع الحكومية (السوفهوز) كبيرة جداً لتخفض بذلك نفقات الإنتاج فكانت تتراوح مساحة المزرعة بين ٨٠ — ١٦٠ ألف فدان ولكن منها ما كان أكبر من ذلك كثيراً مثال ذلك المزرعة المسماة Gigant أى الضخمة ومساحتها ٦٠٠,٠٠٠ فدان .

ولكن نظام مزارع السوفهوز أخذ يظهر عيوبه ابتداء من سنة ١٩٣١ فقد اتضحت خطورة الاعتماد على نظام زراعة محصول واحد والتمسك به تمسكا شديداً ولذلك عدل باتباع دورة زراعية منظمة . وقد اتضح أيضاً أن مزارع الحبوب متسعة جداً لدرجة يصعب معها إدارتها إدارة ناجحة . لذلك خفضت مساحة المزرعة الواحدة منها فى سنة ١٩٣٢ بحيث لا تزيد عن ١٠٨,٠٠٠ فدان على أن تقسم داخليا إلى عدة مزارع صغيرة يدير كل منها مساعد مدير . وقد نتج عن إنشاء مزارع تربية الحيوان العظيمة الاتساع أن الحيوانات كانت تتجمع فى قطعان كبيرة مما ساعد على انتشار الأوبئة بينها ، فقد كانت مساحة مزرعة تربية الماشية ٦٣ ألف ميل مربع ومزرعة تربية الأغنام تزيد عن ٤٦ ألف ميل مربع فقسمت هذه المساحات الهائلة إلى مساحات أصغر منها لتسهل إدارتها . وكان من أكبر الأخطاء التى ارتكبت أن استولى عمال الحكومة على الماشية قبل أن تنشأ لها الحظائر اللازمة لإيوائها ويعين لها الكلافون اللازمون للعناية بها . وقد عاقبت حكومة السوفيت الموظفين المسئولين عن هذه الأخطاء بإعدام ثلاثين منهم .

وقد اتضح فى النهاية أن تجربة إقامة مزارع السوفهوز قد فشلت تماماً فأعلن ستالين فى سنة ١٩٣٣ أنها لا تغطى نفقاتها فيما عدا بضع عشرات منها . وفى نهاية سنة ١٩٣٥ أعلنت الحكومة السوفيتية حل عدد كبير منها وإضافة أراضيها إلى المزارع التجمعية ، ولم يستبق من مزارع السوفهوز غير التى رأوا ضرورة إبقائها للاستغلال على أساس تجارى ، وقد وضعت تحت إدارة ثلاث قومسيريات هى : قومسيرية المزارع الحكومية ، وقومسيرية صناعة الأغذية وقومسيرية الزراعة .

(البقية فى العدد القادم) **دكتور محمد مأمون عبد السلام**

وكيل قسم أمراض النباتات بوزارة الزراعة المصرية

التعليم ووحدة الأمة

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

— ٧ —

يَسُر الباحث في مسائل تربية الجيل الجديد وتعليمه أن يرى آراءه التي يدلي بها بين آن وآن موضع عناية وتقدير من الجهات ذوات الشأن ، فإن التصريحات التي فاه بها معالي وزير المعارف عن مشاكل التعليم الأصيلة والمؤقتة ، وعن الخطوط الأولى للسياسة التعليمية العامة ، وعن ضرورة توحيد المرحلة الأولى في التعليم العام ، وعن العمل لتحسين حال المعلمين ورفع الغبن عنهم . وأن ما قرأناه في الصحف عن التفكير في ضم طوائف المعلمين بعضها إلى بعض ، وتوحيد صفوفها لتدل كلها دلالة واضحة على صحة الاتجاهات التي اتجهنا إليها في إثارة هذه المسائل وبحثها .

كما أن ذلك مما يشجعنا على المضي في بحوثنا عسى أن نساعد على إنارة الطريق أمام العاملين على النهوض بالتربية والتعليم عندنا وعند الأمم العربية الشقيقة التي قد زادت رابطتنا بها وبنهضتها وبثقافتها هذه الجامعة العربية الفتية . وعسى أن يمكن ذلك من إيجاد أسس قوية موحدة في بناء نهضة هذه الأمة ، وتوحيد صفوفها ، ورفع شأنها بين الأمم عن طريق العناية بناشئتها ، وتسليحهم في مستقبل حياتهم بأسلحة العلم الحديث والتفكير السليم مع تقوية أسباب التناصر والتعاون بينهم آملين ألا يمضي وقت طويل حتى تجتمع لجنة الثقافة في الجامعة العربية لبحث هذه المسائل الهامة ، كما اجتمعت لجنتا الزراعة والاقتصاد فإن توحيد الثقافة هو أساس التفاهم والتعاون كما أنه هو أساس التكوين والتدعيم .

إن اتجاهات الإصلاح التعليمي في مصر لم تتناول في مختلف أطوارها مع الأسف التفكير الجدي في تنشئة المعلم وتكوينه واختياره والعناية به إلا في حدود ضيقة جداً ؛ فقد اعتدنا ألا نفكر فيه إلا إذا اضطرتنا الحاجة الملحة إلى ذلك التفكير ولم توضع سياسة ما من قبل لإعداد المعلمين المتآخين المتحابين المتجانسين المتساوين وتنشئتهم بل كان أمر إعدادهم يتبع ظروف إنشاء المدارس الجديدة أو فتح فصول في القديمة ، فإذا وجدنا ضغطاً في هذه الناحية قمنا على وجه السرعة بإيجاد معهد ما لتخريج عدد من المعلمين ، ثم لا نلبث أن نستغني عنه ، ونغلق أبوابه إذا ما خف الضغط وقل الطلب ، ولذا نرى معاهد ومدارس لتخريج المعلمين كثيرة وُجدت ثم أغلقت حسب الظروف . ومن هنا نشأت هذه التشكيلة المختلفة من المعلمين في التعليم العام التي لا نظير لها في تعدادها وتفاوتها وتنافرها وقلة انسجامها وعدم تعاونها في أي بلد آخر من بلاد الله مما كان له الأثر الملموس في جمود المدرسة وخمود روحها ، وضعف أثرها في أبنائها ، وانعدام روح التعاون بينهم مع ضعف الروح العلمية ، وقلة الإقبال على الاستزادة من العلوم والفنون إلا ما كان خاصاً بالامتحان وضعف روح الإقبال على العمل الحر المنتج إذا ما انتهوا من الدراسة وحصلوا على الأجازة التي تسلمهم إلى الوظيفة خصوصاً بعد أن وضعت لها التسعيرة الجديدة المغرية .

فإذا كان معالي وزير المعارف قد ذكر في بياناته أن نجاح المشروعات الجديدة في التعليم يتوقف أساسياً على المدرس فإن هذا هو الحق لا ريب فيه . ولذا فقد ذكر معاليه أنه قد عُني عناية شديدة بأمور المعلمين ، ولديه مشروعات عديدة لترقية معاهد إعداد المعلمين ، وتهيئة الوسائل لتكميل ثقافة الحاليين منهم ، وأنه حفظه الله يعمل على إزالة الشعور بالغبن المستولي على نفوسهم . وإن في هذا كله ما يدل على الروح الطيبة المحبة للإصلاح والخير التي أملت على معاليه هذه العناية وهذا التقدير وهذا الاتجاه المستقيم . فما أقسى هذا الشعور بالغبن الذي يحز في نفوسهم . وما أشد أثره في أعمالهم ومسئولياتهم ! وما أعمق تأثيره في الرسالة الملقاة على المدرسة وواجباتها ! وإذا كان معاليه قد سبق أن قسم مشاكل التعليم إلى أصيلة ومؤقتة ؛ فإن مشاكل المعلمين وهي فرع هام من مشاكل التعليم فيها كذلك الأصيلة وفيها المؤقتة ، فأما مشكلتهم الأولى الأصيلة في رأينا فقد سبق أن تناولناها بالبحث وهي تنحصر في تعدد طوائفهم ، واختلاف ثقافاتهم ، وتباين تفكيرهم ، وتنوع نظراتهم إلى واجباتهم وأعمالهم وإلى

الحياة العامة كلها ، ولعل هذا هو السبب الأساسى فيما نلمسه من انعدام فكرة التعاون فى المدرسة ، ومن جمود فى حركتها ومن انحطاط فى روحها ، ومن خمود فى اتباع أساليب التربية الحديثة فيها . ومن تجاهل لرسالتها الحقيقية التى لا تتعدى النجاح فى الامتحانات والعمل لها .

من أجل ذلك سرنا ذلك الاتجاه الجديد الذى أخذت الوزارة فى بحثه وبدت بشائره على صفحات الجرائد من الميل إلى ضم طوائف المعلمين بعضها إلى بعض فى اتحاد واحد ثم ظهر أثره فعلا فى ضم نادیی دار العلوم وتوحيدهما فى ناد واحد . ولعل هذه الخطوة الطيبة تتبعها خطوات أجرأ منها وأعظم فى وضع أساس الوحدة المنشودة التى يجب أن تمتلئ بالإيمان بها قلوبنا وعقولنا ، والتى بها نستطيع أن نرفع مستوى المدرسة رفعاً يليق بكرامتنا ونهضتنا .

لهذا نرى أن من واجبنا الأول أن نضع فى رأس سياستنا التعليمية الجديدة توحيد معاهد تخريج المعلمين لأنا نؤمن أن فى هذا التوحيد الخير كل الخير لمعاهدنا العلمية . فإذا كنا قد آمنا بأن التوحيد ضرورى وأنه لازم لمدارس المرحلة الأولى من التعليم الإلزامى والأولى والابتدائى فإنه لا شك ألزم لمعاهد المعلمين المكلفين بالسهر على تكوين النشء وتثقيفهم حتى تتركز فى تضافر المعلمين وتآزرهم وتعاونهم تلك المعانى السامية العظيمة التى ننشدها فى مدارسنا ومعاهدنا وأبنائنا بل وفى وحدتنا العامة وجامعتنا العامة وأخوتنا العامة .

أما المشكلة الأصيلة الثانية فى تكوين المعلم فتنحصر فى العمل الجدى على تقوية روحه وشخصيته وخلقه وضميره والسمو بها جميعاً إلى المكانة التى تشعرها حقاً بجليل رسالتها وعظيم مسئوليتها أمام الله وأمام الوطن وأمام الأمة جمعاء . ولن نتمكن من السمو بالمعلم هذا السمو المنشود إلا بتمهيد السبيل الحق إلى انتقائه من بين الصفوة الممتازة بخلقها وبحبها الحقيقى للمهنة ، ولن نستطيع أن نصل إلى هذه الأمنية مطلقاً إلا إذا سوينا على الأقل بين المعلمين وبين زملائهم وإخوانهم من رجال القضاء والمهندسين والأطباء وغيرهم من أرباب المهن المحترمة الأخرى . صحيح أن هذا سيكلف الدولة بعض المال ولكنه فى الوقت ذاته كفيل برفع مستوى المعلمين رفعاً يؤثر فى الجيل الناشئ تأثيراً كبيراً لأن هؤلاء المعلمين الذين يحبون المهنة حباً فى المهنة والذين نختارهم من الصفوة سيدفعهم حبهم لعملهم دفعاً إلى بذل الجهود الحقة فى تنشئة الجيل الجديد على المبادئ السليمة التى تنشئ أبناءها عليها الأمم القوية العزيزة فيكون مكسبنا من وراء عملهم مكسباً لا يقدر بمال ، فعلينا أن نبنى سياستنا الجديدة على تكوين هؤلاء الرجال حتى نضمن لمصر وللأمة العربية كلها نهضة رائعة تعيد إليها سالف مجدها وغابر عزها .

هاتان هما المشكلتان الأساسيتان من مشاكل التعليم والمعلمين وحلهما كفيل برفع مستوى المعاهد الدراسية وبحل مشكلة تكوين الجيل الجديد . فإذا عملنا حقاً على حلهما فقد ضمنا لهذه الأمة حياة مستقبلة سعيدة وقوة حافزة جديدة تضعها فى مصاف الأمم المحترمة العزيزة ، أما المشاكل المؤقتة فى حياة المعلم فسنفرد لها مقالا آخر إن شاء الله .

عبد الحميد فهمى مطر

عود على بدء

الفردوس المفقـــود

للأستاذ عبد الرحمن صدقي

[أصدر الشاعر منذ شهر وبعض شهر ديوانه الذي أسماه « من وحي المرأة » لأنه — كما قال الأستاذ العقاد — لم يكن إلا وحياً فاض به حزنه على زوجته الفقيدة ، فخرج في جملته منظوماً كأنه لا يحتاج إلى نظم ، وجاء فيه بقصائد ومقطوعات ستبقى في عداد الشعر الخالد ، سواء منه ما نظم في هذا الموضوع أو غير هذا الموضوع . ويبلغ الديوان نحو الألف بيت . وقد جاءتنا من الشاعر القصيدة التالية — ولم يسبق نشرها — وهي في الموضوع نفسه ، يذكر فيها كمهده شريكة حياته ورفيقة دراساته] .

بحبِّيَ وحـــدى كان قلبُك يهتف
ولى كان منـــكِ الناظرُ المتشوِّف(١)

وبى دون أهـل الأرض أُنسُك كلُّه
كأن رحابَ الأرض دونى صفصف(٢)

تخورُ على الدنيــا بأنك زوجتى
وما أنا قارونٌ ولا أنا يوسف(٣)

تصبَّاكِ منى ما يُحَبِّب ذا الهـوى
ويَزْوِى قلوبَ الغانيات ويصدف(٤)

تصبَّاكِ أنى ذو حـديث وأنه
علومٌ وفنٌّ لا مجونٌ وزخرف

وأنك قــد طالعتِ أسفار مكتبى
إذا لىَ فيها حيث وقَّفتِ موقف

نظرتِ إشاراتى هنـــاك وها هنا
تحدِّث عن أغوار نفسى وتكشف

لدى كلِّ تعقيبٍ وكلِّ إشــارة
تصافح روحانا فكان التعرّف

وعهدى للأنثى مــدارٌ ، وللفتى
مدارٌ ، ولولا النسلُ ما كان مَألف

فوافرحتا أن قــد تعانق عالمى
وعالمها ، فالشمـــل نَظْمٌ مؤلف

ويا فرحتا أُطلقتُ من سجن وحدتى
فروحى مــع الروح الأليف ترفرف

تحلّق فى الآفاق طـــوراً ، وتارة
تسِفُّ إلى روض الغــرام فنقطف

نضاعفُ بالكتب الحيـــاة ، فحظنا
من الحِسِّ والتفكير حظٌّ مضعَّف

ونَعرض للعقـــل الفنونَ فتنجلى
وندرس بالقلب العـلومَ فتلطف

نمارس هـذا العيشَ بالقلب والحجى
معاً ، مثلما طابت على المزج قرقف(١)

حبيبان بين الكتب عشُّ غرامنا
نديمان فى حضن الهـوى نتفلسف

نذوق كطعم الخـلد أعيت صفاته
بيانى ، وطعم الخلد هيهات يوصف

فواحسرتا أن قد خــلدنا هنيهة
هى الخلد لكن من سنا البرق أخطف(٢)

ويا حسرتا أنى إلى سجن وحدتى
رجعت ، وذكرى الخلد بالقلب تعنُف

فلا القلب عن ذكرى هواكِ بمُرعوٍ(٣)
ولا الدمع عن سُقْيا ثراكِ مكفكَف

(١) المتشوف المتطلع .
(٢) دوني أي من غيري . الصفصف الفلاة .
(٣) يقال « قارون » و « قارونا » ، والنصب على أن « ما » عاملة عند الحجازيين ، والرفع على أنها غير عاملة عند غيرهم ، وفي البيت إشارة إلي غنى قارون وجمال يوسف .
(٤) تصبي المرأة استمالها وفتنها . زوى أبعد ونحى . يصدفه يصرفه ويرده .

(١) القرقف من أسماء الخمر (٢) أخطف : أسرع
(٣) مرعو من ارعوى أي كف .

نهـاية المطاف ...

للأستاذ سيد قطب

تنشد السلوان من حب عقيم ... وتروم البرء من داء قديم
ها هو السلوان فانظر : أترى ... شارة الموت على تلك الرسوم ؟

شاه فى خاطرك السكون ومات ... وتخلت عنك أحلى الذكريات
وبدا العمر حزيناً عاطلاً ... كامد السحنة مجفو السمات

قدمضى الحلم ، تحقق فى العيان ... هل ترى إلا خواء فى الزمان ؟
وتهاويل الرؤى ... يا ويحها ! ... غالها الصحو فماتت منذ كان !

نم قرير العين إن كنت تنام ... لفك الصمت وغشاك الظلام
يأمن الدنيا ويخلو للكرى ... معدم الكفين مفقود الحطام !

قد خلا الهيكل من وحى الصنم ... وغدا معبودك الأسنى حطم
أتطيق الآن تحيا ملحدا ... أم ترى تخلو لشيطان الندم ؟

ضقت بالخوف ودنيا الاضطراب ... أترى الأمن هنا بين اليباب ؟
أيها المنكوب فى أحلى المنى ... الحياة الحب والحب العذاب !

ضقت بالقيد ! فها أنت طليق ! ... ما يباليك إذن حادى الرفيق !
فهو يخلى فى الفيافى كل من ... لا يساوى ثمن القيد الوثيق !

عمرك الفارغ . كالثفل زهيد ... ليس فيه من طريف أو تليد
وهى الأيام تقضى مثلما ... تنقضى أيام مأجور شريد

أين أحلامك بالعش الجميل ؟ ... أين آمالك فى الظل الظليل ؟
قد مضى الحلم وولى موهناً ... فاركن الآن إلى الصحو الطويل !

نم يا منكود ما كنت تروم ... ومشى السلوان فى الحب القديم
نم قرير العين واهنأ بالكرى ... الكرى الميت فى القلب العقيم !

يا رمال الشط ...

للأستاذ مصطفى عبد الرحمن

يا رمال الشط بالله أجيبى ؟ ... أين غاب اليوم عن عينى حبيبى
يا رمال الشط ... ...

جئت والبسمة تعلو شفتيا ... لأرى بسمة آمالى عليك
لم أجد يا شط من يهفو إليا ... مثلما أقبلت لهفان إليك

غير موج يتلوى لبكائى
كلما رددت فى الشط ندائى

يا رمال الشط بالله أجيبى ... أين غاب اليوم عن عينى حبيبى

ها هنا يا رمل كان الموعد ... ما الذى أنساه صفو الموعد
إننى وحدى غريب مبعد ... هائم بالغائب المبتعد

جئت ألقاه . فلم ألق سوى
خافق يهتف من مر الجوى

يا رمال الشط بالله أجيبى ... أين غاب اليوم عن عينى حبيبى

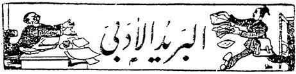
أترانا نلتقى قبل الرحيل ... نستقى الفرحة فيما نستقى
ونرى الدنيا سنا صبح جميل ... ليت أنا يا ليالى نلتقى

طال شوقى وحنينى فأتيت
لم أجد أحباب قلبى فهتفت

يا رمال الشط بالله أجيبى ... أين غاب اليوم عن عينى حبيبى

أيها الرمل إذا مر حبيبى ... كالندى فى ومضة الفجر الرطيب
سله عن أمسى وأفراحى وكوبى ... وارو عن يومى وحدث عن نصيبى

كل من حولى يلهو ويغنى
وأنا من ذا الذى يسأل عنى
يا رمال الشط ... ...



حول ترجمة كتاب :

نقل الأستاذ محمود محمود للعربية كتاب « وسائل وغايات » لألدوس هكسلى ، وهو اختيار موفق وجهد مشكور ، فالكتاب من أجل كتب الفكر والمؤلف فى طليعة مفكرى هذا العصر .

ولكنى لا أريد هنا أن أتكلم عن الكتاب نفسه ولا عن مؤلفه ، وإنما يدعونى للكتابة أمر هام يتعلق بمبدأ من مبادىء الترجمة حقيق بالعناية والرعاية ، خصوصاً ونحن بصدد نهضة الترجمة آخذة بأسباب التعضيد والقوة والانتشار . أعنى بهذا المبدأ روح الأمانة التى ينبغى أن يأخذ المترجم بها نفسه متوخيا الدقة البالغة فى نقل روح المؤلف وأفكاره كى يحسن التعريف بالمؤلف وكتابه ويعطى القارىء حقه من الثقافة والاحترام . هذا مبدأ هام لا يجوز أن يغيب لحظة واحدة عن انتباه المترجمين ، فليس المترجم مطلق الحرية فى التصرف فيما يترجم . حقاً هو حر فيما يختار من المؤلفين والكتب كيفما تراءى له وجه الحق والفائدة ، فإذا اختار فلا معدى له عن أداء الأمانة لأهلها وإلا صار عمله افتئاتاً وتشويهاً وعبثاً بالمؤلف والقارىء على السواء . خطر لى أن أقول هذا عندما قرأت ما كتبه الأستاذ محمود محمود فى مقدمة كتابه إذ يقول : « ... وقد عرضناه على القارىء العربى مسهبين حيناً وموجزين أحياناً . وقد أوجزت بصفة خاصة فى الفصول الأخيرة من الكتاب التى بحث فيها هكسلى المعتقدات والأخلاق لأنه كان فيها هداماً أكثر منه منشئاً » . فعلمت محزوناً أنه أباح لنفسه أن يوجز وأن يسهب ، وأن يوجز بصفة خاصة فى الفصول الأخيرة من الكتاب لأن المؤلف — على حد قوله — كان فيها هداماً .

عجبت أيما عجب وساءلت نفسى مغيظاً محنقاً إذا كان المؤلف هداما فكيف يتحايل المترجم لتقديمه للقراء منشئاً أو شيئاً بين المنشىء والهدام ؟ إذا أراد الرجل أن يعلن نفسه للعالم هداما فكيف تدارى أنت صفته وتقدمه فى صورة أخرى ؟ هذا كما قلت عبث ، وفيه روح استعلاء توهم المترجم بأن له حق الوصاية على القراء ، فمتى يحق لجمهور القراء — وقراء مثل هذا الكتاب من المثقفين عادة — أن يطلعوا على الحقائق كما هى ! وحتام يعاملون معاملة الأغرار ؟ !

ويزيدنى أسفاً أن مؤلف الكتاب يقول فى نهاية الفصل الأول « ... ولذا فقد بدا لى من الضرورى أن أختم كتابى هذا الذى أقترح فيه علاجا عملياً لأمراض المجتمع ببحث فى المبادىء الأساسية والمعتقدات . فالفصول الثلاثة الأخيرة قد تكون أكثر فصول الكتاب خطراً ، بل إنها من ناحية عملية بحتة قد تكون أهم ما فيه » . فترى من ذلك أن المترجم قد استباح التصرف فى أخطر فصول الكتاب بحكم المؤلف نفسه ، وأن ترجمته لم تعد بمغنية عن الأصل بحال ، وأن تعبه يوشك أن يكون مجهوداً قليل الثمر .

فماذا نقول بعد ذلك ؟

كلمة واحدة . فأما ترجمة صادقة ، أو لا ترجمة على الإطلاق . ولنمحق عهد الوصاية إلى الأبد .

نجيب محفوظ

الترتيب التاريخى للزوميات المعرى

كتب إلينا من بيروت الدكتور عمر فروخ رسالة مطولة حول هذا الموضوع يقول فيها :

طالعت المقالات التى كتبها الدكتور عبد الوهاب عزام عن لزوميات المعرى وعن ترتيبها التاريخى فى مجلة الرسالة الغراء ، ولقد لفت نظرى أمران :

أولهما — أن الدكتور عزام قال فى آخر المقال الثالث : « هذا ما بدا لى فى تاريخ اللزوميات وترتيبها ، فمن بدا له ما يؤيد رأيى أو ينقضه ، فليتفضل مشكوراً بالإدلاء برأيه والإبانة عن حجته » ومعنى ذلك أنه أول من فعل ذلك

وثانى الأمرين — أننى وجدت شبهاً عظيما بل تطابقاً بين الأسس التى اتخذها الدكتور عبدالوهاب عزام لترتيب اللزوميات وبين الأسس التى كنت قد استخرجتها ثم جعلتها أساساً لكتابى « حكيم المعرة » الذى صدر فى بيروت فى فبراير من عام ١٩٤٤ أى منذ عام ونصف عام ، وذلك لمناسبة مرور ألف عام على ولادة أبى العلاء المعرى (٣٦٣ — ١٣٦٣ هـ)

فى هـذا الـكتاب عنيت عناية بالغة بوضع أسس لترتيب اللزوميات ، إذ أننى كنت أحاول حل قضية معقدة ، هى ماينسبه بعض الـكتبة المتأدبين الذين يتعرضون لمعالجة الموضوعات الثقافية من التناقض إلى حكيم المعرة . وبعد تدبر هذه القضية بدا لى أن ذلك راجع إلى أن ترتيب اللزوميـات علىْ حروف الروى ليس الترتيب التاريخى لها مما بسطته فى موضعه ، وليس هذا موضعه . ولقد كانت دراستى كلها مبنية على هذه الفـكرة الأساسية .

ثم ذكر الدكتور فروخ طريقته فى ترتيب اللزوميات ترتيباً تاريخياً ...

وخرج من ذلك إلى أن الدكتور عزام قد اطلع على كتابه الذى نشره منذ عام ونصف واستفاد من طريقته ونتيجته ، ثم لم يشر إلى ذلك فى بحثه ، والقارئ المنصف لايرى فى ذلك التشابه مظنة للاختلاس أو الاقتباس ، إذ ليس من البعيد أن يقع كاتبان فى موضوع واحد على نتائج متشابهة إذا كان البحث قائماً على الاستنباط والاستنتاج من نصوص واحدة . وترتيب اللزوميات ترتيباً تاريخياً يقتضى النظر فى تتبع حوادث التاريخ وتحقيق أقوال الناظم ، فلا بد أن تتقارب النتائج ما دام النظر سليما ، والبحث قويماً ، والغاية واحدة

عمر فروخ

حول « أصداء بعيدة »

قرأت فى « الرسالة » كلمة عنيفة وجهها إلىّ صديقى الـكاتب الأديب الأستاذ ثروت أباظة لمناسبة صدوردوانى الجديد « أصداء بعيدة » ؛ ولست أدرى ما الذى دفع صاحبنا إلى كتابة ما كتب ولا أود أن أقول « من الذى » ، فأنا أثق فى نزاهته واستقامة فطرته الأدبية

وفى ديوانى مقال طويل عن فنى فى الهجاء ، وراعنى فى ذلك الفن ، واستقامة الفكرة والتعبير بين يدىّ ، وسهولة النظم وعذوبة العبارة مما أوشك أن يذهب بشعرى كله مذهب السهل الممتنع

أتدرى — أيها القارئ الكريم — من الذى كتب ذلك التمجيد ؟ إنه ثروت أباظة بعينه ...

قال صاحبنا : إن فى الديوان إسفافاً وسقوطاً ... ثم أخذ القارئ ليضرب له مثلا ، مثلا على الإسفاف والسقوط ... فما ذا صنع ، وعلى أى شىء وقع ؟ وقع على الأبيات الآتية ، وهى من قصيدة فى الهجرة المحمدية :

فتح القفر روحه للصديقيـــن فأمسى باديه كالبستان
أيمـا ذرة من الرمل غنت والـكادت تهم بالطيران
حدثت أختها وفيها دبيب وهى نشوى بمقدم نشوان

وأول ما ألاحظه عليـه أنه روى البيت الأخير خطأ فقال « بمقدم النسوان » ؛ ولعل له غرضاً فى إيراده على تلك الصورة !

وثانياً : رواها وصمت ... فلم يبين لنا مواضع الإسفاف الذى ادعاه ، وإنى أشكره أن هيأ لى فرصة بيان معنى هذه الأبيات

أقول : إن القفر الجديب تلقى الصديقين المهاجرين تلقى الشوق ، ففتح لهما روحه ، ونسمت عليهما منه نسمات لا تهب إلا من أعطر الرياض وأندى البساتين ، فهما إذن فى بستان معطار وليسا فى بطائح ولا قفار ... والرمل ... إنه ابتهج بهذا المقدم السعيد ، حتى لـكأن ذرات الرمال أمست تغنى فرحاً بالضيفين العظيمين ، واستولى على تلك الذرات شـعور الفرح والغبطة ، فكادت تطير ! !

وتحدث الرمل ، معجباً ، مزهواً ، بأن يكون موطئ قدم ذلك النبى العبقرى وصاحبه ، وأخذته نشوة بذلك المقدم النشوان!

أفهمت يا صاحبى ثروت ما وراء هذه الأبيات من معنى ضخم وخيال واسع ؟ !

وينصحنى أخيراً بالتروى ليبرر ما كتب ، ولعله لا يعلم أننى معجب غاية الإعجاب بموهبتى فى سرعة النظم ، وقد نص معالى والدى الشاعر دسوقى باشا على إعجابه بهذه الموهبة فى المقدمة القيمة التى كتبها لهذا الديوان عنى كما شاركه هذا الإعجاب معالى الدكتور هيكل باشا ، الذى تفضل فسطر هـذا الإعجاب فى تقديم لفنى وشاعريتى إلى جمهور القارئين بالعربية فى مصر وفى غير مصر كما يقول معاليه

هذه كلمة هادئة أرجو أن تنال من ضميره النزيه قبولا

(مصيف ابى قير) العوضى الوكيل



قصة مصرية

راهبـــة بلا دير

للأستاذ إدوار حنا سعد

كان ظهور حمدى فجأة فى أفق حيـاة سنية إعصاراً مدمراً قلب كل شىء وجعلها تضيق بحياتها وتسأل نفسها فيمَ إصرارها على العزوبة وفيمَ تحاشيها للرجال . وأخذت تستعرض صور حياتها التى تجردت من كل ما يبعث فى النفس البهجة ، وأطياف ماضٍ كان حافلاً بالأسى والحزن .

إنها عندما وُلدتْ ووطأت قدماها الصغيرتان شاطىء الحياة أقلعت سفينة المـوت تحمل أمها بين الراحلين ، والذين حضروا ساعة الميلاد ورأوا أضواء الحياة ترقص فى عينى الطفلة البريئة وظلال المـوت تجثم على وجنتى الأم الشهيدة ، أحسوا فى بكاء الطفلة رثاء لأمها وندباً لحظ وضع عليه اليتم ميسمه .

غير أن السماء لم تكن قد أرادت بسنية يتماً كاملا ، فقد أبقت لها أباها العطوف وجعلت من شقيقتها الكبرى (إنعام) ملاكا حارساً يملأ بنور الحنان لياليها ويجمل بزهر العطف أيامها وينسيها ما استطاع مرارة اليتم وشقوة الحرمان . وكانت إنعـام تحس — وهى ترعى شقيقتها الطفلة — زهو الأمومة المبكرة وسعادة الوفاء بالجميل نحو أمهما التى كانت دنيـا من الشباب والحسن والعطف فلم يبق منها إلا صورة معلقة على جدار ، وقبر نائى المزار ، وذكرى ما تزال تغدو فى خيالها وتروح .

وتوالت مواكب الأيام ومرت على البيت الصـغير وسنية سادرة فى غى الطفولة وإنعام حالمة أحـلام الشباب ، وأبوهما منصرف إلى عمله الذى يستغرق سحابة أيامه وصدر لياليه .

وأخذت الطفلة تنمو وتترعرع وبدأت الغشاوة تنجاب عن عينيها وعرفت أن إنعام ليست أمها بل شقيقة وافرة الحنو . على أن ذلك لم يقلل من حبها البنوى لهـا ، بل لعله زاد عنفاً واتسع أفقاً ، وأصبح نوعاً من العبادة الصامتة وعرفان الجميل وأخذ يطغى عليها الشعور بالرغبة فى خدمتها وتوفير الراحة لها .

* * *

إن سنية الآن عذراء وافرة الأنوثة قد لمس الحب قلبها لأول مرة ، وإنها لتستعرض حياتها الجرداء التى ولت هباء لم يورق فيها الحب من قبل ، وتذكر أنها كانت فى الثانية عشرة من عمرها حين تقلدت الدار عقود الزهر ورفرفت عليها الأعلام وتوافد الناس وعزفت الموسيقى معلنة أن حياة إنعام قد ارتبطت بحياة رجل كان غريباً فأضحى أقرب إليها من كل قريب . ثم هى تذكر أنها كانت فى الثالثة عشرة من عمرها حين اتشحت الدار بالسواد وتوافد الناس وتعالت الأصوات بالندب والبكاء معلنة أن الأب الحزين قد لحق بالزوجة الراحلة .

ومنذ ذلك الحين أقامت سنية بصورة مستمرة فى بيت إنعام وأخذت عيناها تتفتحان على أمور كثيرة غريبة . رأت سامى زوج أختها قد أشهر الحرب على زوجه وساقه إلى ذلك طمعه فى الميراث الضخم الذى خلفه أبوها وأطمعه فيها ضعفها وقلة حيلتها وانفرادها ، فما كان لها من الأقارب إلا عم يقيم فى السودان . وكانت إنعام مضطرة إلى مداراته وإعطائه ما يطلب ، وأسرف فى شرب الخمر وساءت أخلاقه وزاد طلبه للمال ، والمال كماء البحر كلما شرب منه الإنسان زاد عطشه . وكانت الزوجة البائسة تسرف فى البكاء والتفكير إسرافها فى منحه المال ، وكانت تشحب وتزداد نحولاً بالرغم من تأكيد الطبيب بأن ضعفها يضر بالجنين الذى كان يتحرك فى أحشائها .

وعلى صدر سنية كانت تنهدات إنعام تترامى فى يأس مرير فتجد لها فى ذلك الصدر الشفوق صدى وبلسما ؛ ولطالما مرَّ الليل أوائله وأواخره على الشقيقتين كبراها تقول بشجوها وتبكى ، والصغرى تحاول أن تمسح بيد العزاء أحزاناً قاسية حتى إذا أجهدها ذلك فيئست أخذت تبكى فعانقتها أختها وتعانق الدمع فوق خدود لم تخلق للدموع .

وكانت إنعام تزداد نحولا ، وسنية تزداد بغضا لسامى وللرجال على وجه العموم ، وساعد على ذلك أنها لم تكن قد خبرت من الرجال إلا أباها ، وكان على حنانه كثير الانصراف إلى عمله ، وإلا هذا الرجل النذل الذى استغل ضعف امرأتين فأقبل يسرقهما كلما طاب له أن يسرق ، وساء ظنها فى الرجال ، ولم تكن هى الملومة على أية حال .

وتتابعت أمواج الذكريات على خيال سنية وهى ساهدة تفكر وتذكرت كيف أبى القدر إلا أن يكرر المأساة فى هـذه الأسرة للمرة الثانية فى تاريخها القصير ، فعندما أنجبت إنعام ضيفاً جديداً فى ذلك المنزل ، غادرته هى على الأعناق ، وكان هذا المولود فتاة هى عدالات .

* * *

تولى الأستاذ عبد المجيد القلينى المحامى الكهل الشهير ، شؤون الوكالة عن سنية وإدارة أملاكها ، وكان رجلا أميناً ، وزاد من عطفه عليها عرفانه بحالها وصداقته القديمة الوطيدة لوالدها . وتفرغت هى إلى تربية عدالات والقيام بذلك الواجب المقدس نحو أختها والوفاء بذلك الدين القديم .

إن التاريخ قد أعاد نفسه سريعاً والحنان الذى شربته سنية من يدى إنعام قد عادت تسقيه إلى ابنة إنعام ، وأضحت لها هذه الطفلة الجميلة بمثابة الكأس والخمر والحلم والنور الذى أفلت من يد الحزن وكف القدر لكى تعيش على ضوئه ذكريات تلك الشقيقة الراحلة .

وكأن الطفلة كانت قد سرقت من أمها وهى تموت كل جمالها : شعرها الكستنائى وعينيها المسبولتين ، وذكاءها الوقاد وروحها الخفيفة ونظراتها الحالمة ، وغدت سنية تشرب هذا الحسن فى كأس القبل وتخال أنها تقبل الإبنة والأم معاً .

والشقة التى كانت تسكنها فى أحد البيوت التى تملكها ، قد غدت صومعة أقامتها لتتعبد فيها ذكريات إنعام ولتحرق لابنتها حياتها بخوراً وتقضى العمر فى هذه العبادة .

والبسمة البريئة على ثغر عدالات والنظرة الشاكرة فى عينيها واللثغة الساحرة فى شفتيها كانت العزاء الوحيد للحسناء الزاهدة فى متع الحياة .

وكان الأستاذ عبد المجيد المحامى الذى يحضر ليعطيها نصيبها من إيراد الأملاك ، وسامى زوج أختها الذى نسى زوجه وتزوج من أخرى والذى يحضر ليرى ابنته حيناً ولكى يقترض منها لنقود أحياناً ولم يفكر فى رد ما اقترض ولن يفكر فى ذلك على التحقيق . هذان كانا الرجلين الوحيدين اللذين تطأ أقدامهما هذه الصومعة .

وظل نهر الأيام يجرى وعلى صفحته تسبح سنية وعدالات ، وكانت الأخيرة تتفتح كالزهرة وتنمو كالغصن النضير وسنية تظللها وتحنو عليها كالسرحة الزكية وتتعجل الأيام كى تراها عروساً ذات بعل وأماً لأولاد .

وحين بلغت عدالات السادسة عشرة ، وانقطعت عن الدراسة أضحت الثياب الأنيقة والعطور الغالية من نصيبها ، ولطالما تمنت على خالتها أن تشاركها استعمال العطور أو أن تجاريها فى أناقة الملبس فكانت تبتسم لها وتقول : « لقد كبرت يابنيتى العزيزة » فتضحك عدالات وتقول : « حقاً ، لقد نسيت إنك هرمت وبلغت الثلاثين » .

* * *

كان بين سكان « العمارة » التى تسكنها سنية مهندس أعزب يدعى حمدى ، يقيم مع أمه العجوز وخادم ، ولم تكن سنية قد رأته لأنها كانت قليلة الفضول قليلة الزيارة لجيرانها .

وذات مساء سمع رنين الجرس فى مسكن سنية وفتحت الخادم الباب فوجدت حمدى أمامها يطلب مقابلة « الهانم » باعتبارها المالكة ليشكو إليها سوء أدب البواب فى معاملة والدته المريضة ، وترددت سنية هل تسمح له بالدخول أم لا ؟ ووجدت من الأذوق أن تستقبله فإنه جارها وهو فيما تعلم رضى الخلق .

ووطئت قدما هذا الرجل الغريب بيت الأنثى الزاهدة ورأت سنية أمامها شاباً طويل القامة قوى الجسم فتان الطلعة جرىء النظرات يناهز الخامسة والثلاثين ويبدو عليه عدم الاكتراث بشىء ما . ومدت يدها تصافحه فضغطها فى كفه الغليظة كأنما يصافح رجلا ، وجلس قبل أن تسأله أن يجلس وخلع طربوشه ووضعه على مقعد بجانبه فتهدلت خصلة من شعره الفاحم السبط فوق جبينه الأسمر العريض ، ووضع ساقاً فوق أخرى وأشعل سيجارة ونفث دخانها عقدا فى الهواء وبدأ يتكلم ، وأخذت سنية تصغى لكلماته ثم تعلقت نظراتها بشفتيه الممتلئتين الحمراوين تلتقيان وتنفرجان وهو يتكلم ولم تعد تنصت إلى الألفاظ أو تتفهمها ولكنها غرقت فى بحار من التيه عميقة وكانت ألفاظه تتساقط كأصابع رقيقة تمزق عن ذاكرتها ستار الإهمال والكبت وتعرض عليها أحلام الشباب وتعيد إليها الشعور بتفاهة حياتها وحاجتها إلى الحياة الحافلة المليئة بحنان امرأة وعطف رجل .

وشعرت بالخجل واحمر خداها وخشيت أن يكون قد اطلع على مجرى أفكارها ولكنه كان ما يزال يتكلم وينفث الدخان من أنفه الجميل وفمه المتلئ بعد أن يكون قد ملأ به صدره العريض وأحست أنها رأته قبل ذلك ، من سنين عديدة بل من أجيال عديدة ، إن صوته ليس غريباً عنها ، وهذه الملامح طالما رسمتها يد

المثل على لوح خيالها . وعادت تنظر إلى شفتيه تنفرجان وتلتقيان وخيل إليها أنهما فى كل انفراجة والتقاء إنما تتهيآن لقبلة أو تفرغان من قبلة . وكبحت جراح نفسها وأنصتت إلى كلامه وسمعته يسألها هل يرضيها ما فعله البواب ، ولم تكن قد فهمت شيئاً مما قال ، ولكنها وعدته بأنها ستنزل به العقاب ؛ ونهض قائماً وهو يعتذر من إزعاجه إياها ، ولكنها أكدت له العكس ورجته أن يبلغ تحياتها وأسفها وتمنياتها إلى والدته . فى تلك الليلة لم تنم ، بل عادت بذاكرتها إلى حياتها كلها الفارغة من المتع وظلت تستعيد منظر الشفتين المتلثتين والعينين اللامعتين الواثقتى النظرة . إن عينيه تلقيان بذور الهناءة فى حقل عمرها الأجرد ، وشفتيه ترسمان بحركتهما السريعة خطوط حياة راقصة سعيدة تتمناها . لماذا ولدت ولماذا تعيش ؟ لقد طالما حيرها هذا السؤال فكانت تجيب بأنها تعيش لعدالات . أما الآن فقد اهتدت إلى الجواب الصحيح . لقد قرأته فى عينيه وسمعته فى رنين ألفاظه ، إنها خلقت له وإن حياتها وجدت لكى ترتبط بحياته .

واندفعت إلى خاطرها صور كثيرة ، إن نظراته إليها كانت أكثر من مجرد نظرات ، كان فيها توسل وأمر ، وطاعة وعصيان ، ومنى وأمل ، وفيها دليل هوى ونجوى غرام . وسألت نفسها هل يتزوجها ، وضغطت قلبها أصابع الفرح حين طاف به هذا السؤال وأجابتها نفسها : ولم لا ؟ لعله لم يحضر إلا ليراك ، وقد اتخذ من قصة البواب ذريعة لذلك . تذكرى نظراته وابتسامته وضغطه يده على يدك وعادت تتساءل « وهل أرضى به » فأجابتها نفسها « نعم ، أتظلين عانساً طول العمر ؟ أم هل تظنين أن كل الرجال أدنياء كسامى زوج إنعام . أما تتوقين إلى رؤية أطفال لك يملأون بيتك بهجة . « ولكن أهذا هو الحب من أول نظرة » فوجمت نفسها قليلا وأجابت « نعم . بل كلا . هذا ليس حبا . إنه اللهفة التى تغمر الظمآن إذا أشرف على النبع الفرات ، والنشوة التى تعمر قلب الضارب فى الصحراء إذا اهتدى إلى الواحة ، والراحة التى تفيض على الساهد إذا أوشك الكرى أن يغمض جفنيه . « وعدالات ما يكون شعورها إذا تزوجت ؟ » وللمرة الأولى تغيرت نظرتها إلى عدالات . لماذا تحطم هى حياتها لكى تسعد عدالات ؟ إن إنعام لم تظل عانساً وهى تربيها ، فلماذا تبقى هى عانساً من أجل ابنة إنعام ؟ يكفى عدالات ما رأت من حنان ، ويكفيها أنها ستظل لها كما كانت دائما ولكنها لن تحرم نفسها ليشبع الآخرون ، ولن تكون الشمعة التى تحترق وعلى نورها تنصب العناكب شباكها وفى نارها تموت الفراشات الراقصة . وأغمضت عينيها ونامت ورأت نفسها فى المنام تزف إلى حمدى .

* * *

وتكررت زيارات حمدى تصحبه والدته ، فنجلس الجميع ومعهم عدالات يسمرون ويتحدثون . وأخذت سنية تبالغ فى التأنق وامتلأت ثقة بنفسها فتوردت وجنتاها وزاد نشاطها والتماع عينيها الجميلتين وطفقت تلقى على حمدى نظراتها الحنون وتوسد نظراته إليها أجفاناً ذابلة يقظة . وكأنت تتلقى ضغطة يده على كفها كأنها تأكيد لعهدهما وميثاق أبدى .

وفى ذات أصيل جاءت أم حمدى بمفردها وحيت وقالت : إن حمدى يسره أن يصاهر أسرتها الكريمة . فتوردت وجنتا سنية وخفق قلبها وكادت تثب من الفرحة الكبرى التى غمرت كيانها وواصلت أم حمدى الحديث قائلة «وهو لذلك يطلب يد عدالات» . ووجمت سنية وأصابها تبلد غريب ، ولأول مرة أحست أن عدالات الطفلة النادرة قد أصبحت مزاحمة خطيرة . وعجبت من نفسها كيف قابلت النبأ بهدوء وكيف ودعت الضيفة فى ثبات ووعدتها وعداً جميلا بعد أن تخاطب أبا عدالات فى الأمر . وعادت إلى غرفتها وسبحت فى يأس مرير . إنها تمنت أن تعيش بين يديه فكيف فر منها إلى طفلتها الصغيرة ؟ أتكون عدالات زوجة أفضل منها وهى الفتاة الطائشة الرعناء . وكبحت جماح غيرتها العنيفة أن شقيقتها إنعام قد أطلت من وراء الغيب تسألها الرفق بابنتها وتنهدت سنية وملأ رأسها عزم جديد .

« لقد تمنيت أن أرى أولاده منى ، وقد استجاب الله نصف الأمنية . إن أبناءه من عدالات سيكونون أبنائى ، وسأشرف على تربيتهم كما أشرفت على تربية أمهم »

« ما الذى تغير فى حياتى ؟ سأعيش بقربه ، وسأراه دائماً ، وسأحنو عليه حنوى على عدالات . إن الحجر الصغير الذى ألقى فى نهر حياتى الهادئ قد انداحت له الدوائر ، ولكن سطحه سرعان ما عاد إلى هدوئه وسيظل يجرى فى الصحراء التى قدر له أن يجرى فيها حتى المصب » . « لقد عشت شبابى زاهدة ، وكثيرات غيرى قد فررن من مثل هذا الألم إلى الدير ، فلم لا أصبح راهبة بلا دير ؟ »

(إسكندرية) **إدوار حنا سعد**